القبس الوهاج
في تلخيص
شرح المنهاج من ميراث النبوة

القَبَسُ الوَهَّاج

فِي تَلْخِيصِ شَرْحِ المِنْهَاج

أحمد بن يوسف السيد

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥ ـ ٢٠٢٤

منار الفكر

الترقيم الدولي:

978-625-94198-2-4

منار الفكر

KAYABAŞI MAH. ARMAĞAN SK.
NO:1N BAŞAKŞEHİR / İSTANBUL

FikirManar

+905556600088

www.manarfikir.com

info@manarfikir.com

MATBAA: STEP AJANS MATBAA LTD. ŞTİ, GÖZTEPE MAH. BOSNA CAD, NO11 BAĞCILAR , İSTANBUL
TELEFON :0212 446 88 46
MATBAA SERTIFIKA NO : 45522

القبس الوهاج

في تلخيص

شرح المنهاج من ميراث النبوة

أحمد بن يوسف السيد

لخصه واعتنى به

محمد شميس

منار الفكر


بسم الله الرحمن الرحيم

جدول المحتويات

الإهداء	٧
المقدمة	٨
تمهيد بين يدي الشرح	١١
الباب الأول: بَابٌ فِي مَرْجِعِيَّةِ الْوَحْيِ وَشُمُولِيَّتِهِ وَمَرْكَزِيَّةِ التَّسْلِيمِ للهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ	١٩
الباب الثاني: بَابٌ فِي تَلَقِّي الْقُرْآنِ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، وَتَقْدِيمِ مَقْصَدِ الْعَمَلِ بِهِ وَتَدَبُّرِهِ والِاسْتِهْدَاءِ وَالِاسْتِغْنَاءِ بِهِ وَتَحْكِيمِهِ وَزِيَادَةِ الْإِيمَانِ بِهِ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الشَّرِيفَةِ	٢٨
الباب الثالث: بَابُ تَعْظِيمِ حُدُودِ اللهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ	٤٢
الباب الرابع: بَابُ ضَبْطِ الْأَفْهَامِ عَلَى مِعْيَارِ الْوَحْيِ، وَتَصْحِيحِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَقَايِيسِ النَّظَرِ، وَأَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الضَّلَالِ رَدُّ الْحَقِّ بِمَعَايِيرِ نَظَرٍ خَاطِئَةٍ	٤٩
الباب الخامس: بَابٌ فِي أَنَّ الدِّينَ عَلَى مَرَاتِبَ مُتَفَاوِتَةٍ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْخَبَرِ، وَأَنَّ الْفِقْهَ فِي الدِّينِ وَالدَّعْوَةِ تَبَعٌ لِإِدْرَاكِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ	٥٧
الباب السادس: بَابٌ فِي مَرْكَزِيَّةِ التَّزْكِيَةِ فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ وَأَهَمِّيَّةِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَأَنَّ عَلَيْهِمَا مَدَارَ الْفَلَاحِ	٦٨
الباب السابع: بَابُ شَرَفِ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَفَضْلِهِ وَذَمِّ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ	٧٤
الباب الثامن: بَابٌ فِي مَرْكَزِيَّةِ الْعَمَلِ وَأَنَّهُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْعِلْمِ، وَتَرْبِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابَهُ عَلَى الْعَمَلِ، وَإِبْعَادِهِ إِيَّاهُمْ عَنِ الْقِيلِ وَالْقَالِ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ	٨٠
الباب التاسع: بَابٌ فِي صِدْقِ النِّيَّةِ وَأَنَّ الْعَمَلَ الْمَقْبُولَ هُوَ مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى وَوَافَقَ السُّنَّةَ	٨٨
الباب العاشر: بَابُ أَهَمِّيَّةِ اسْتِحْضَارِ الْغَايَةِ، وَالْحَذَرِ مِنْ مُزَاحَمَةِ الْغَايَاتِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَطَالِبِ الدَّنِيئَةِ	٩٥
الباب الحادي عشر: بَابٌ فِي تَحَمُّلِ الْفَرْدِ مَسْؤُولِيَّةَ التَّكْلِيفِ تِجَاهَ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ	١٠٠
الباب الثاني عشر: بَابٌ فِي الْمَسْؤُولِيَّةِ الْعَامَّةِ تُجَاهَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ	١٠٥
الباب الثالث عشر: بَابٌ فِي مَرْكَزِيَّةِ اتِّبَاعِ هَدْيِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهَمِّيَّتِهِ لِلْمُصْلِحِ فِي عِبَادَتِهِ وَدَعْوَتِهِ وَصَبْرِهِ	١١٣
الباب الرابع عشر: بَابُ فَضْلِ الْإِصْلَاحِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَأَهَمِّيَّةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ	١٢٠
الباب الخامس عشر: بَابٌ فِي صِفَاتِ الْمُصْلِحِينَ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعَامِلُونَ لِلْإِسْلَامِ	١٢٧

الباب السادس عشر: بَابٌ فِي أَهَمِّيَّةِ الْوَعْيِ بِسَبِيلِ الْمُجْرِمِينَ وَالْحَذَرِ مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَكَيْدِهِمْ وَالتَّنَبُّهِ مِنْ مَكْرِ الْمُنَافِقِينَ	١٣٧
الباب السابع عشر: بَابُ الْعِنَايَةِ بِالشَّبَابِ وَتَقْدِيمِ ذَوِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ، وَتَفْعِيلِ أَدْوَارِهِمْ فِي الْعَمَلِ لِلْإِسْلَامِ	١٤٦
الباب الثامن عشر: بَابُ دَوْرِ الْمَرْأَةِ فِي بَثِّ الْعِلْمِ وَنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَفِي عِنَايَتِهَا بِأَبْوَابِ الْخَيْرَاتِ، وَمُسَارَعَتِهَا إِلَى الْعَمَلِ بِهَا	١٥٥
الباب التاسع عشر: بَابٌ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ وَالْحَذَرِ مِنَ الِانْتِكَاسِ	١٦٤
الباب العشرون: بَابٌ فِي الْحَثِّ عَلَى الِاعْتِدَالِ فِي الدِّينِ وَالتَّيْسِيرِ فِيهِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْغُلُوِّ وَالتَّشْدِيدِ عَلَى النَّفْسِ أَوِ الْغَيْرِ	١٧٢
الباب الحادي والعشرون: بَابٌ فِي مَرْكَزِيَّةِ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ	١٨٦
الباب الثاني والعشرون: بَابٌ فِي مَفَاتِيحِ الْهِدَايَةِ وَالْبَصِيرَةِ وَدَوَامِ احْتِيَاجِ الْمُسْلِمِ إِلَى الْهِدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ	١٩١
الباب الثالث والعشرون: بَابٌ فِي أَهَمِّيَّةِ الصُّحْبَةِ الصَّالِحَةِ، وَفَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ، وَخُطُورَةِ التَّفَرُّقِ وَالتَّنَازُعِ وَاخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ	١٩٨
الباب الرابع والعشرون: بَابٌ فِي الْحَذَرِ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَا يُخْشَى عَلَى الصَّالِحِينَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا	٢٠٥
الباب الخامس والعشرون: بَابٌ فِي فَهْمِ أَسْبَابِ ضَعْفِ الْمُسْلِمِينَ وَاخْتِلَالِ أَحْوَالِهِمْ، وَإِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ	٢١٤
الباب السادس والعشرون: بَابٌ فِي السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ وَأَهَمِّيَّةِ مُوَافَقَتِهَا فِي الْإِصْلَاحِ وَإِقَامَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ النَّاسِ وَدَعْوَتِهِمْ	٢٢١
الباب السابع والعشرون: بَابٌ فِي حُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَالتَّمْكِينِ بَعْدَ الْبَلَاءِ	٢٢٩
الباب الثامن والعشرون: بَابٌ فِي الْمُبَشِّرَاتِ بِالتَّمْكِينِ وَصَلَاحِ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَعْدَ الشَّدَائِدِ وَالْفِتَنِ	٢٣٥
الباب التاسع والعشرون: بَابٌ فِي أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينُ الْوَحِيدُ الْمَقْبُولُ عِنْدَ اللهِ، وَأَنَّهُ شَرْطُ النَّجَاةِ	٢٤٣
الباب الثلاثون: بَابُ سَيْرِ الْمُؤْمِنِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ	٢٤٩
الباب الحادي والثلاثون: بَابٌ فِي الشَّوْقِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْحَنِينِ إِلَيْهِ	٢٥٥
الباب الثاني والثلاثون: بَابُ الشَّوْقِ إِلَى اللهِ ﷻ	٢٥٨
خاتمة	٢٦١

الإهـداء

إلى شباب الأمة المستبشرين بنهضة أمتهم

إلى المقبلين في وقت الإدبار

إلى مَن هجر اللذائذ والرفاهية وأقبل على العمل لدين الله

إلى السائرين على منهاج النبيين

أبشروا، فقد سلكتم طريقًا لا خسارة فيه



مقدمة

بسم الله ولا حول ولا قوة إلا به

حمدًا لمن امتنّ علينا بنعمة الدين، وحفظ لنا كتابه من تحريف المبطلين، وجعل فيه الآيات والبراهين التي تصلح بها أحوال الناس في كل وقت وحين، فلا تبطل مضامينه، ولا تبلى قوانينه مهما طالت الأيام والسنين.

والصلاةُ والسلام على مَن أفديه بأبي وأمي ونفسي رسول الله ﷺ، لم يترك شيئًا من الدين إلا وبيّنه أفضل التبيين، وأرشدنا لما فيه صلاح أحوالنا مهما تقلبت الأحوال وطالت السنين، حفظ اللهُ لنا سنته من كذب الكذابين، وأقام لها من ينشرها من الصادقين العاملين، فانتشرت في أقطار المعمورة نورًا يضيء الدرب للسالكين.

أما بعد: فإن من أجلّ نعم الله على هذه الأمة أن حفظ لها الكتاب الذي أنزله عليها، وسنة نبيّه ﷺ الذي أرسله إليها، وجعل في هذين النورين الغنية والكفاية لقيام الدين، الذي به تصلح أحوال العالمين، ومهما ابتغى العالَمون أن تصلح أحوالهم دون أن يكون هذان النوران مرجعيتهم فلن تصلح، ومهما ابتغى المصلحون القيام بأمتهم دون الانطلاق من هذين الأصلين فلن تقوم لهم قائمة، فبكتاب الله وسنة نبيه ﷺ نجاتنا وعصمتنا، وقيام أمر ديننا ودنيانا.

ولذلك كانت تربية شباب الإسلام – الذين بهم تكون نهضة هذه الأمة – على تعظيم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والانطلاق منهما، والاحتكام إليهما؛ عين السداد، لا سيما إذا كانت هذه التربية على محكمات الشريعة وأولوياتها قبل فروعها وتفصيلاتها.

وفي هذا الزمن الذي كثر فيه اللهو والفساد عند كثير من شباب المسلمين، وتسلل اليأس والإحباط إلى ميدان المصلحين العاملين؛ كان هناك مِن شباب الإسلام

مَن وفقه الله تعالى للالتفات إلى نفسه وأمته، فنفضوا عنهم غبار الكسل وتنكبوا سبيل التافهين، وانطلقوا في بناء أنفسهم رجاء أن يكونوا لهذا الدين من العاملين الباذلين، طلقوا اليأس وفارقوا مقاعد المحبطين، وأقبلوا للنهضة بأمتهم مستبشرين غير متوانين.

ولما كان هذا حال فئة من الشباب أقبلت في وقت الإدبار، ولم يختاروا مع كثرة الثغور الفرار؛ توجب على مصلحي هذه الأمة أن يدلوهم على الطريق الواضح الذي يسلكونه، أي: المنهاج الذي يتبعونه في سيرهم، ومن هنا جاء متن «المنهاج من ميراث النبوة» لشيخنا وأستاذنا أحمد السيد - حفظه الله من بين يديه ومن خلفه – ليكون منهاجاً – أي: طريقاً واضحاً – لهذه الثلة من الشباب التي تسعى أن تستقيم على أمر ربها، وأن تعمل لنصرة دينها، لكنّ هذا المنهاج ليس كأيّ منهاج، وإنما هو منهاج مستمد من ميراث النبوة، أي: من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ ، وهذا يجعل لهذا المنهاج قيمة عظيمة، فعظمة هذا المتن، وقيمته العليا ليست لمكانة مؤلفه - وإن كانت له في نفوس شباب الإسلام المكانة الكبرى – وإنما لما تضمنه من الآيات والأحاديث التي هي ميراث النبوة، فأنعم بمنهاج مستمد من ميراث خاتم الأنبياء ﷺ .

وقد كتب الله الكريم لمتن «المنهاج من ميراث النبوة» القَبول بين شباب الإسلام، فحفظه في السنوات الأخيرة الآلاف، واعتنوا بشرحه، وكان له الأثر الكبير على كثير منهم في الاستقامة الشخصية والبوصلة الإصلاحية.

وقد شرح هذا المتنَ مؤلفُه شيخنا أحمد بن يوسف السيّد - أعيذه بالله من شر الحاسدين - في سلسلة مرئية بلغت واحدًا وثلاثين مقطعًا، فشرح الله صدري لتلخيص هذا الشرح وتهذيبه لمقاصد أردتها أسردها عليك في التمهيد الذي سيكون بين يدي الشرح، وشرعت في تلخيصه والعناية به حتى يسر الله إتمام ذلك، فجاء هذا الكتاب الذي بين يديك، وقد أسميته بـ«**القبس الوهاج في تلخيص شرح المنهاج**»،

وأضفت لهذا الشرح بيانًا للكلمات الغريبة الموجودة في هذا المتن، فقد جمعت ما يزيد عن مائة وخمسين كلمة من الآيات والأحاديث، وبيّنت معانيها من كتب التفسير، وشروح الأحاديث، والمعاجم، من كتب الأقدمين والمعاصرين.

وقدمت بين يدي الشرح بتمهيد تضمن ستة أمور، وهي:

أوّلًا: شرح عنوان المتن.

ثانيًا: السياق الذي أُلّف فيه المتن.

ثالثًا: مقاصد تأليف متن المنهاج.

رابعًا: أهمية متن المنهاج.

خامسًا: شروح متن المنهاج.

سادسًا: عملي في شرح المنهاج.

وأخيرًا: إن وُفّقت في كتابة هذا الملخص، وفي تقريب هذا الشرح؛ فإني أقر وأعترف بأن الفضل لله ربي ومولاي، فما من نعمة بي إلا منه، بمحض فضله وكرمه، أحمده وأشكره كما يحب ويرضى، وأستغفره من تقصيري وتفريطي.

وأسأله بفضله وكرمه أن يكتب لهذا الملخص القبول بين المسلمين، وأن يبارك به، وأن ينفع به المسلمين.

وأسأله أن يغفر لي ولوالديّ وشيخي، وأن يعتق رقابنا من النيران بفضله وكرمه.

وكتبه الفقير إلى الله المستغني به: مُحمد شُميس

٥/ ٨/ ١٤٤٥ هـ

١٥/ ٢/ ٢٠٢٤ م

تمهيد بين يدي الشرح

أوّلًا: بيان عنوان المتن:

كنت أتأمل عنوان متن «المنهاج من ميراث النبوة» فرأيت أن عنوانه دالٌّ على مضمونه دلالة مطابقة، وفهم هذا العنوان سيعين على فهم المقصود من وضع هذا المتن؛ لذلك أحببت البدء بشرح العنوان شرحًا مختصرًا، أبيِّن فيه معنى كلمة «المنهاج»، ومعنى «ميراث النبوة»، ثم بيان العنوان «المنهاج من ميراث النبوة» كاملًا.

- **المنهاج**: قال الإمام ابن منظور ﷺ: «والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ. واسْتَنْهَجَ الطريقُ: صَارَ نَهْجًا، وَفِي حَدِيثِ الْعَبَّاسِ: «لَمْ يَمُتْ رسولُ الله ﷺ حَتَّى تَرَكَكُم عَلَى طريقٍ ناهِجةٍ»، أَي: واضحةٍ بَيِّنَةٍ»[(١)]، وفي كتاب الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] أي: طريقًا واضحًا.

- **ميراث النبوة**: الميراث: ما يتركه الإنسان لورثته من أموال وحقوق، وهذا يتعلق بعموم الناس، أما ميراث النبوة فمختلف، ولا يراد به ما يتركه الإنسان من الأموال ونحوها، فإن ما يتركونه من هذه الأمور يكون صدقة، كما جاء في الصحيحين عن أبي بكر ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «**لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**»[(٢)]، فما المقصود إذن بميراث النبوة؟ جاء بيان ذلك في حديث أبي الدرداء ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[(٣)]، فهذا هو ميراث الأنبياء، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي الميراث الذي تركه النبيّ ﷺ لهذه الأمة.

(١) لسان العرب: (٢/ ٣٨٣).

(٢) رواه البخاري: (٦٧٢٥)، ومسلم (١٧٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٢٣).

- **المنهاج من ميراث النبوة**: الطريق الواضح المستمدة معالمه من العلم الموروث عن النبيّ ﷺ.

وبفهم هذا العنوان ندرك المقصد الذي وُضع لأجله هذا المتن، فالمراد منه أن يكشف عن الطريق الواضح للمسلم الذي يريد الاستقامة على أمر ربه ونصرةَ دين الله تعالى.

ثانيًا: السياق الذي أُلّف فيه المتن:

ذكر المؤلف حفظه الله في مقدمة كتابه أن تأليف هذا المتن منه جاء ضمن سياق يُقدّم فيه المؤلف مجموعة من المواد المتعلقة بـ «المنهج الإصلاحي»، وهذا المتن يأتي ليشكّل «الثقافة المعيارية للمصلحين»، أي: القضايا والموضوعات التي ينبغي أن تكون مشتركة بين المصلحين والعاملين مهما اختلف اتجاهاتهم وتنوعت وسائلهم.

وكثير من آيات وأحاديث هذا المتن شرحها الشيخ بشكل مختلف عما في هذا الشرح في مواد متنوعة له، ومتابعة هذه المواد مما يُعين على فهم الرؤية الإصلاحية بشكل أعمق عند شيخنا أحمد السيد، ومن هذه المواد:

١- كتاب «بوصلة المصلح».
٢- كتاب «السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع والعمل الإصلاحي».
٣- سلسلة «مركزيات الإصلاح».
٤- سلسلة «السيرة النبوية للمصلحين».
٥- سلسلة «صناعة المربي».
٦- سلسلة «معالجة القرآن لنفوس المصلحين».

فهذه المواد أحسبها مكملة لشرح المنهاج من ميراث النبوة، وبمتابعتها كلها تتكون الصورة الكاملة للرؤية الإصلاحية لشيخنا أحمد السيد وفقه الله.

ثالثًا: مقاصد تأليف متن المنهاج:

حين ألّف شيخنا سدده الله متن المنهاج كانت له مقاصد متعددة من تأليفه، من أبرزها ثلاثة مقاصد:

١- إبراز كثير من مركزيات الشريعة وأولوياتها، وكان هذا الإبراز يصحبه نظر بعينين:

* عين على الشريعة التي عظّمت هذه الأمور المركزية، ثم تربية المصلحين على مثل هذه المعاني، لأن التربية الصحيحة تكون بالتربية على المحكمات وأصول الدين قبل الدخول في جزئياته، ومن أعظم صور الاختلال في التربية اليوم: أن يتجاوز الطالب بنفسه أو يتجاوز به شيخه هذه المحكمات وتتم التربية على أمور ليست هي أولى ما يأخذه المتربي في بداية الطريق، وهذه آفة منتشرة ليس هنا مقام الحديث عنها بتفصيل، لكن مما يؤسف أن كثيرًا من الشباب تمت تربيتهم على الصراعات والقيل والقال دون أن تتم تربيتهم على محكمات الدين وأصوله، والخوف بعد سنوات من تصدر هؤلاء للناس وتعليمهم وهم قد تربوا هذه التربية المنحرفة، والله المستعان.
* عين على الواقع وما فيه من خلل متعلق بهذه المركزيات، فيكون القصد من إبرازها كذلك معالجة الخلل الموجود في الواقع.

٢- أن يكون هذا المتن زادًا للمسلم الذي يسعى لتحقيق غايتين اثنتين:

* الاستقامة والثبات أمام ما يعرض له من الابتلاءات، ومن فتن الشهوات والشبهات.
* الإصلاح والدعوة إلى الله والعمل لدينه، ففي هذا الكتاب مجموعة من الأبواب التي لا يستغني عنها مريد الإصلاح، كوضوح المرجعية، وضبط

الأفهام على معايير الوحي، وفضل الإصلاح، وبيان صفات المصلحين، وغير ذلك من الموضوعات، ومن المسلمات عندنا: أن في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الكفاية التامة لما تحتاجه الأمة من أمور الإصلاح والدعوة، ولا يمكن أن يأتي على الأمة زمان تمر فيه بابتلاءات ومشكلات ثم لا يكون في الوحي المخرج من هذه الأزمات.

٣ – تعزيز مرجعية الوحي في نفوس المتربين من الناحية التطبيقية:

فإن تعزيز مرجعية الوحي يكون من خلال طريقين:

الأول: طريق نظري.

الثاني: طريق تطبيقي.

ومن الوسائل في هذا الطريق: استجلاب النصوص في مختلف الأبواب التي يحتاجها المسلم من أمور دينه، سواء في استقامته الشخصية، أو في مسيرته الدعوية، حتى تظهر له شمولية الشريعة، ويصل لدرجة الاستغناء بها عن غيرها، وأن تكون هي الحاكمةَ لما دونها من المرجعيات.

رابعًا: أهمية متن المنهاج:

في المقدمة التي سبق ذكرها وفي الحديث عن مقاصد تأليف هذا المتن كشفت عن شيء من أهميته بشكل غير مباشر، وهنا سأذكر نقطة واحدة بإيجاز عن أهمية هذا المتن، وهي:

أننا نلاحظ في واقعنا اليوم أن طلاب العلم ذوي المدرسة الواحدة يشتركون في بنائهم العلمي، لكنهم يتفرقون إلى اتجاهات متضاربة ومتناقضة مع أن المعلومات التي تلقوها متقاربة بشكل كبير جدًا، وعند التأمل في الأسباب المؤدية لذلك سنجد أن لكل اتجاه إطارًا يحكم المعلومات الجزئية ويوجهها، لذلك وإن اتفقت المعلومات فإن العمل

في الواقع وتوجيه هذه المعلومات فيه اختلاف لاختلاف هذا الإطار، والإطار يتكون من مكونات متعددة، منها:

١- الغايات والمقاصد التي يتربى عليها الطلاب.

٢- تحديد الأعداء.

ومن خلال هذا الإطار يتم توجيه آلاف المعلومات الجزئية التي يتلقاها الطالب، وهذا الإطار إما أن يكون آراء واجتهادات شخصية، أو أن يكون مستمدًا من مرجعية الوحي[١].

والشاهد على أهمية متن المنهاج:

أنه متن جُمعت فيه الأولويات والغايات الصحيحة التي ينبغي أن يُربّى عليها طلاب العلم، فكان بذلك إطارًا لمن تربى عليه يحكم كثيرًا من المعلومات الجزئية عند المتربي، وميزة هذا الإطار: أنه مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

خامسًا: شروح متن المنهاج:

للشيخ أحمد السيد وفقه الله ثلاثةُ شروح على متن «المنهاج من ميراث النبوة»، اكتمل اثنان منها، والثالث لم يكتمل، ولكلّ واحد من هذه الشروح ميزة تختلف عن غيره، وفيما يلي حديث مختصر عن كلّ شرح من هذه الشروح:

الشرح الأول: «الشرح المطول»:

وهو الشرح الذي بين أيدينا، فيه شرح الشيخ هذا المتن في واحد وثلاثين مقطعًا، شرح فيه جميع الأبواب.

---

(١) انظر: محاضرة «مركزية الوعي» من سلسلة «مركزيات الإصلاح» للشيخ أحمد السيد.

وكانت طريقته: شرح عنوان الباب، وبيان أهميته شرعًا وواقعًا - وإن كان لم يفعل ذلك في جميع الأبواب -، ثم يشرع الشيخ في شرح الآيات والأحاديث.

وكان هذا الشرح شرحًا متوسطًا أحسبه يميل إلى الاختصار، فتسميتي له بـ«المطول» تسميةٌ نِسْبِيَّةٌ مقارنةً بغيره، وما زال هذا المتن يحتمل مزيدًا من التفصيل والشرح على ما ذكره شيخنا وفقه الله في هذا الشرح، وقد شرعت من قريب في كتابة شرح موسع على هذا المتن، وأسأل الله التوفيق والسداد فيه.

ويحسن التنبيه هنا أن الشيخ حفظه الله في شرحه هذا كان تركيزه في استنباط الفوائد من النصوص على الفوائد التي توافق المقاصد التي وضع الشيخ الكتاب لأجلها، فَجُلُّ فوائد الشرح كانت فوائد تربوية، ومنهجية، وإصلاحية، ولا يتطرق الشيخ - في الغالب - للجوانب الفقهية ونحوها في الاستنباط من الآيات والأحاديث.

الشرح الثاني: «**مقاصد متن المنهاج**»:

هذا الشرح جاء في محاضرتين مطوّلتين، وفيها كان حديث الشيخ مقاصديًا عن المتن، ولم يكن المقصود الإلمام التفصيلي بما في الكتاب.

وطريقته في ذلك: أنه يقف في كل باب ثلاث وقفات مقاصدية:

١- وقفة عامة مع عنوان الباب.

٢- وقفة عامة مع الآيات الواردة في الباب.

٣- وقفة عامة مع الأحاديث الواردة في الباب.

وهذا الشرح فيه فوائد ومعانٍ لا يغني عنها ما ورد في الشرح المطول، لذلك يُنصح به حتى لمن سمع الشرح المطوّل.

الشرح الثالث: «المنهاج من ميراث النبوة للجيل الصاعد»:

شرح فيه الشيخ عشرة أبواب، ولم يكمل المتن، والأبواب التي شرحها لم يشرح فيها كلّ الأحاديث، وإنما انتقى من الكتاب بعض النصوص، وكان هذا الشرح مقدّمًا لشباب الجيل الصاعد، لذلك كان بلغة سهلة، ولم يتعمّق الشيخ بشرح كثير من المعاني التي تضمنتها النصوص.

سادسًا: عملي في شرح المنهاج:

عملي في هذا الشرح يمكن حصره في ثلاثة أمور:

الأول: اختصار الشرح اختصارًا يميل إلى الطول، فقد حرصت ألّا يفوتني من كلام الشيخ وفقه الله أفكار أساسية، لذلك لم يكن هناك حذف لأفكار من هذا الشرح، وإنما هو اختصار لها في نقاط مركَّزة تَسْهُلُ مراجعتُها وتكراراها بين الحين والآخر، وقد كانت كثير من الأفكار يمكن بسطها وشرحها أكثر مما وُجد في الملخص، لكنني لم أُرد الخروج عن شرح الشيخ وفقه الله، ولم أرد الزيادة عليه، ولعل الله ييسر كتابة شرح مستقل على هذا المتن يكون فيه بسط للأفكار وتوسع فيها أكثر مما ورد هنا.

الثاني: بيان الكلمات الغريبة في المتن، فقد يسر الله تعالى لي جمع ما يزيد عن مائة وخمسين كلمة من الكلمات الغريبة في آيات وأحاديث هذا المتن، وبيّنت معناها من كتب التفسير وشروح الحديث، والمعاجم، حتى يسهل على القارئ فهم الكلام الذي يقرؤه.

الثالث: توجد بعض الآيات والأحاديث القليلة لم يشرحها الشيخ وفقه الله، وهي تنقسم إلى قسمين:

١- ما شرحه في سلسلة «مقاصد متن المنهاج»، فأتيت بكلامه من هذا الشرح ولخصته هنا.

٢- ما لم يشرحه الشيخ في كلا الشرحين، وهذا تركته دون تعليق عليه.



الباب الأول:

بَابٌ فِي مَرْجِعِيَّةِ الْوَحْيِ وَشُمُولِيَّتِهِ

وَمَرْكَزِيَّةِ التَّسْلِيمِ للهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: معنى المرجعية: ما يرجع إليه الإنسان.

ومرجعية الوحي: ما يرجع إليه الإنسان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليهتدي بما فيها ويصدر عنها ويتحاكم إليها ويقدّمها على غيرها.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: يحتوي هذا العنوان على أربعة أمور:

١- بيان أن الوحي مرجعية للإنسان المؤمن.

٢- وصف المرجعية بالشمولية.

٣- الدعوة إلى التسليم لله ورسوله ﷺ.

٤- بيان مركزية التسليم في الشريعة.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: هناك خمسة أمور مطلوبة منا تُجاه مرجعية الوحي، وهي:

١- «التعظيم». ٢- «التسليم».

٣- «التحكيم». ٤- «التقديم».

٥- «الاستغناء والاستبشار».

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: أعظم ثمرة يخرج بها الإنسان المسلم بتمسّكه بالوحي: الهداية، وأن يعيش على نور من الله، ونحن اليوم نرى من الأمم من وصل إلى درجات من التقدم المادي لكنهم في المقابل وصلوا إلى درجة عالية من الانحطاط الأخلاقي؛ لأنهم فقدوا النور من الله تعالى.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: المطلوب تجاه تعامل المؤمن مع مرجعية الوحي:

١- تقديم هذه المرجعية على غيرها.

٢- تحكيم مرجعية الوحي عند التنازع.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: لهذه الآية تتمة، وهي: قول الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾، وفيها فوائد، منها:

١- أن في قول الله: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ دلالةً على أن وجود الإيمان يلزم منه اعتبار مرجعية الوحي عند التنازع، ويدل كذلك أن من لا يعتبر مرجعية الوحي عند التنازع ففي إيمانه خلل.

٢- أجمع العلماء على أنّ المراد بـ«الردّ إلى الله» الردّ إلى كتابه، والمراد بـ«الردّ إلى الرسول» الردّ إلى شخصه في حياته، وإلى سنّته بعد وفاته ﷺ.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

الْفَوَائِدُ:

مما يدخل تحت صور العزّة القرآنية:

١- «أنه لا يؤتى بمثله».

٢- «أنه في مكانة أعلى من التحريف والتبديل».

٣- «أن حججه تَغلب ولا تُغلب».

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: ذكر المفسرون في قوله: ﴿حُكْمًا﴾ عدة أوجه، منها:

١- «الحكمة».

٢- «الإحكام والإتقان».

٣- «الحاكمية»، أي: أنه حاكم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: يقول الله تعالى في تتمة الآية: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾.

والمراد بـ«العلم» هنا: الوحي، فيُلاحَظ في الآية: المقابلةُ بين الحق وبين ما يُخالفه،

ووصفُ ما يخالفه بأنّه «الهوى»، فـ«العلم» هو الحق وما سواه هو «الهوى»، وهذا من أعظم ما يجعل الإنسان يستمسك بمقتضى الوحي.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذه الآية التعظيم الواضح لمرجعية الوحي بحيث صار متعلقًا بالإيمان والكفر.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: تحكيم الوحي من قضايا الإسلام الكبرى، فإن الله تبارك وتعالى لم يُنزل الوحي ليُهمّش أو ليُستبدل بغيره بل ليكون مهيمنًا وحاكمًا على الناس.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من أعظم ما تُبتلى به الأمة الإسلامية: أن يُحال بينها وبين الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

الْفَوَائِدُ:

هذه أوضح آية في كتاب الله تعالى في قضية «التسليم» لمرجعية الوحي، وخاصة للسنة النبوية.

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

الْفَوَائِدُ:

هذه الآية عامة تشمل كلّ ما قضاه الله أو رسوله ﷺ، فقوله: ﴿أَمْرًا﴾ يشمل كلّ الأمور.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عَنِ الْقُرْآنِ: «**كِتَابُ اللهِ ﷻ، هُوَ حَبْلُ اللهِ[١]، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْـهُدى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ**»[٢].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: المراد بـ«الحبل»: العهد.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في هذا الحديث دلالة على أنّ من أعظم ثمرات اتّباع مرجعية الوحي: الهداية.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي رَافِعٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا أُلْفِيَنَّ[٣] أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ[٤] يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ**»[٥].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذا الحديث إخبار بظهور مَن ينكر السنة ويدَّعي الاستغناء بالقرآن، وإخبار النبي ﷺ بذلك مع ظهور طائفة يدّعون الاستغناء بالقرآن مما يزيد اليقين بالسنة.

---

(١) حبل الله: دينه وعهده.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

(٣) لا ألفين: لا أجد وألقى.

(٤) الأريكة: كُلّ ما اتُّكئ عليه من سرير، أو فراش، أو منصة.

(٥) أخرجه أبو داودَ (٤٦٠٥)، والترمذيُّ (٢٦٦٣).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في هذا الحديث تحذير من الفتن المستقبلية للصحابة؛ حتى يكون عندهم استعداد لما يطرأ من الفتن، وهذا التحذير ليس خاصًّا بالصحابة.

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: يكرر كثيرٌ من منكري السنة النبوية أن طاعة الرسول ﷺ من الشرك بالله تعالى، وقد غفلوا أن طاعتنا لرسول الله ﷺ إنما هي طاعة لله رب العالمين، كما قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في هذا الحديث توحيد لله تعالى، وأنّ اتّباع النبي ﷺ إنما هو تعظيم لمن أرسله.

الحديث الرابع: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي الْخُطْبَةِ: «**أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذا الحديث دلالة على الاستغناء بالوحي عن غيره.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: مما ننازع به منكري السنة النبوية أن السنة جاءت بتعظيم القرآن وليس بمفارقته ومباعدته كما يزعمون.

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧).

الحديث الخامس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**».

قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: «نَعَمْ». ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا[1] كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، قال: «نَعَمْ». ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، قال: «نَعَمْ». ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: «نَعَمْ»[2].

---

(١) الإصر: العهد، أي: لا تحمّلنا عهدًا نعجز عن القيام به.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٥).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: كان الصحابة رضي الله عنهم يتلقون القرآن تلقيًا خاصًا، فإنهم كانوا يستشعرون أن الآيات التي تنزل إنما هي كلام الله تعالى، وإذا أردنا أن نقتدي بأصحاب رسول الله ﷺ فمن أول ما ينبغي أن يحصل في سبيل ذلك: أن يُجعل لآيات كتاب الله تعالى من التعظيم ما كان عندهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في قوله ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟**» دلالة على أنّ من أخطر صور التشبّه بأهل الكتاب: عدم الانقياد والتسليم لمرجعية الوحي.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: قد يُشرّع الله تبارك وتعالى بعض الأحكام لاختبار التسليم، أو يذكر من الحِكَم في بعض الأحكام أن فيها اختبارًا للتسليم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣].

* ❁ *

الباب الثاني:

بَابٌ فِي تَلَقِّي الْقُرْآنِ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، وَتَقْدِيمِ مَقْصَدِ الْعَمَلِ بِهِ وَتَدَبُّرِهِ والِاسْتِهْدَاءِ وَالِاسْتِغْنَاءِ بِهِ وَتَحْكِيمِهِ وَزِيَادَةِ الْإِيمَانِ بِهِ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الشَّرِيفَةِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الإصلاح المطلوب في واقعنا اليوم هو إصلاح جذري، وأحد الجذور المهمة في الإصلاح: «**الإصلاح في جذر تلقي القرآن**»، وفي هذا الباب جُمعت آيات وأحاديث تبيّن الموقف الصحيح الذي ينبغي أن يكون تُجاه القرآن من حيث ما تنبغي العناية به أكثر من غيره في تلقي القرآن، فهذا الباب يبيّن ما هي الجوانب التي ينبغي أن نعتني بها أكثر من غيرها في تلقي القرآن.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذه الآيات والأحاديث الواردة في الباب جاءت لإصلاح خلل في الواقع، وهذا الخلل هو: تضخيم جانب العناية بالحفظ على حساب فهم القرآن وتدبره والاستهداء به وغير ذلك من الأمور التي ستُذكر، فعند قراءتها ينبغي أن ينظر في الواقع، ثم يكون الإصلاح بحسب ما جاء في هذه الآيات والأحاديث.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذه الآية يُبيّن اللهُ تعالى أنّه أنزل القرآن؛ لتكون وسيلة التعامل الصحيحة معه هي: «التدبر»، ففي الآية بيان لمركزية مقصد التدبر، وأن كتاب الله أُنزل لأجل ذلك.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من المقاصد التي أنزل الله القرآن لأجلها: «حصول التذكّر به»، أي: يحصل به الاتعاظ، وفي الآية بيان الطريق للوصول إلى هذا المقصد، وهو: «التدبر».

الآية الثانية والثالثة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ[1] قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

---

(١) وجلت: فزعت، ورقّت، وخافت.

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هاتين الآيتين دلالة على أن من أعظم ما تحققه سور القرآن: «زيادة الإيمان».

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: المؤمنون حقًّا يُحسنون تلقّي القرآن والتعامل معه على مقياس الوحي، ومن الأمور التي تدخل تحت هذا المقياس: «زيادة الإيمان بالقرآن»، فإذا كان الإنسان بقراءته للقرآن يزداد إيمانًا فإن هذا يدل على أنه يتلقى القرآن تلقيًا صحيحًا كما أراد الله تعالى.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: إذا كان تلقي القرآن عند الإنسان في حالته الغالبة لا يؤدي إلى زيادة الإيمان؛ فإن هذا يدلّ على وجود نقص وإشكال في طبيعة التلقّي.

الآية الرابعة:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٢٢]

والذكر المقصود هنا هو: التذكر والاعتبار والاتعاظ، كما قال الإمام الطبري رحمه الله: «للذكر: لمن أراد أن يتذكر، ويعتبر، ويتعظ».

الْفَوَائِدُ:

في هذه الآية دلالة على أن تلقي القرآن بطريقة تقود إلى «التذكر» هو تلقٍّ بطريقة توافق مقاصد القرآن التي نزل لأجلها.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا (١) مَّثَانِيَ (٢) تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [الزمر: ٢٣].

الْفَوَائِدُ:

في الآية ذكر صورة من صور التفاعل الإيماني مع الآيات، وهي: «تقشعر الجلود»، وهي نتيجة لزيادة الإيمان، وهذا يدل أن الإنسان إذا قرأ القرآن وأحدث القرآن فيه خشوعًا؛ فإن هذا يعني أن هذا الإنسان يتلقى القرآن تلقيًا يزداد إيمانًا به.

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

الْفَوَائِدُ:

في الآية دلالة على أن «**خشوع القلب**» مما ينبغي أن يتحقق من قراءة القرآن، وهذا راجع إلى زيادة الإيمان، فإن من أهم صور زيادة الإيمان: الخشوع.

---

(١) كتابًا متشابهًا: يشبه بعضه بعضًا، دون اختلاف وتضاد.

(٢) مثاني: تُثنَّى فيه الأنباء، والقصص، وذِكر الثواب والعقاب.

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦]

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «أي: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ لَبلاغًا، أي: لَمنفعةً وكفاية لقوم عابدين».

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: «أي: يتبلغون به في الوصول إلى ربهم».

الْفَوَائِدُ:

في الآية تبيين لمقصد من مقاصد القرآن، وهو: «**حصول الكفاية والاستغناء**»، ففي القرآن ما يكفي الإنسان لبيان المنهج الصحيح الذي يريد الله منه أن يسير عليه، وهذا لا يعني أن سنة النبيّ ﷺ ليست كذلك، وإنما يعني أن القرآن هو الأصل، وهذا المقصد لا يصل إليه الإنسان إلا إذا كان يتعامل مع القرآن تعامل مَن يستحضر ربّانيته، وعظمته، وشموليته، واحتياج الإنسان للعلم من خلاله.

الآية الثامنة والتاسعة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقال: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١-٢].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هاتين الآيتين ذكر لمقصد من مقاصد تلقي القرآن، وهو: «الاهتداء به».

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: موقف الجنّ من القرآن في الآية الثانية كان عجيبًا، فهم أدركوا الغاية التي ينبغي أن تُحقق من خلال القرآن.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الآية الأولى دلالة على الاستغناء بكتاب الله تعالى؛ لأنه يهدي للتي هي أقوم.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: هذه الآية تدل على عظمة مرجعية الوحي، وذلك أن من أعظم صور التعظيم: إدراك الجوانب العظيمة في هذا الكتاب، والتي منها: أنّه يهدي للتي هي أقوم.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: إدراك أن القرآن جاء للهداية يجعل المتلقي للقرآن يتلقاه بعين المستهدي، والذي لا يُدرك هذا المعنى قد يقرأ القرآن لمقاصد أخرى غير مقصد طلب الهداية منه، وطلب الهداية من القرآن من المقاصد التي أنزل اللهُ تعالى القرآن لأجلها.

الآية العاشرة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

الْفَوَائِدُ:

في الآية ذكر لوسيلة وغاية، أما الغاية فهي: «الربانية»، وأما الوسيلة فهي: «تعلّم القرآن وتعليمه»، الوصول للربانية - وهي الغاية - يكون من خلال وسيلة تعلّم القرآن وتعليمه.

الآية الحادية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

الْفَوَائِدُ:

في الآية دلالة على أنّ من مقاصد القرآن: «مدافعة الباطل من خلاله»، وهذا شيء ينبغي أن يستحضره المصلح الذي يعيش في مختلف الأزمان؛ لأن الخطاب الوارد في الآية ليس خاصًا بالنبي ﷺ، وإنما هو خطاب له ولورثته من بعده بأن يُجاهدوا الكفّار بالقرآن، ففي القرآن مضامين لبناء الحقّ وتوضيحه، ومضامين لهدم الباطل وتفكيكه، وفقه هاتين الدائرتين فقه عظيم، فإن الإنسان المصلح عندما ينظر إلى الواقع من حيث ما ينبغي أن يعمل ينظر إليه من هاتين العينين:

- «عين لدائرة الحق وبنائه وحملته»، فالمصلح عنده دائمًا أساس في مشاريعه متوجّه إلى هذه القضية، بغض النظر عمّا هو موجود من الباطل والمشكلات.
- «وعين أخرى لدائرة الفساد والمشكلات، وحملة الباطل، ومضامينه». والنظرُ بهاتين العينين يجعل المصلح يسير بطريقة متّزنة، فجولة للحق في تقويته وبنائه ومضامينه ونشر علومه، وجولة على الباطل في تفتيته وتفكيكه ومحاربته ومدافعته، ومن القرآن تُستمد أهم مضامين المدافعة.

الآية الثانية عشرة:

قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذه الآية ذِكر لمقصد آخر من مقاصد القرآن، وهو أن يكون «شفاء»، ووصف القرآن بأنه شفاء يُبيّن أن من الصفات الأساسية في القرآن كونه شفاء.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الأصل في الشفاء المذكور بالآية أنه الشفاء المعنوي لما يكون في الصدور من التساؤلات والشكوك، والافتقار الفطري، ونحو ذلك مما يقع في النفوس.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من أعظم ما يُعين على تحقيق مقصد الشفاء: أن يُقرأ القرآن بعين المستهدي، فالهداية كلمة عامة تندرج تحتها صور، ومن هذه الصور: الهداية بشفاء التساؤلات والشكوك.

الأحاديث:

الحديث الأول: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً[١] مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَنَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ[٢]»[٣].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: تأتي الأحاديث لتكمل وتعزز وتبيّن ما سبق ذكره في الآيات، واستقراء ما ورد في الموضوعات الشرعية من الكتاب والسنة هو التعامل الأكمل مع الموضوعات، فهذه منهجية مهمة في فقه الدين كله.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في هذا الحديث يذكر عبد الله بن عمر ﷺ صورتين من صور تلقي القرآن: صورة كانت في زمن النبي ﷺ، وصورة كانت بعد زمنه، وكان عبد الله ابن عمر ينتقد الصورة الثانية، ويُبيّن أن الناس استسهلوا التعامل مع القرآن بينما لم يكن كذلك في زمن النبي ﷺ، فإن القرآن له شأنه الذي ينبغي أن يُستعدّ له به بأن يُدخل عليه بقلوب تعظّمه وتقدّره قد بُني فيها الإيمان، ومن هنا نخرج بنتيجة عملية، وهي: أن الدروس المتعلقة بالآخرة، والتعرف على الله، وأعمال القلوب من أوائل ما ينبغي أن يتلقاه الطلاب في حلقات التحفيظ.

---

(١) برهة: المدة الطويلة من الزمن.

(٢) الدقل: رديء التمر ويابسه.

(٣) أخرجه الحاكم (١٠١)، والبيهقي (٥٣٥٥)، واللفظ له.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من الآيات التي سبق ذكرها ويرتبط بها هذا الأثر: قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، فـ«الربانية» من المقاصد التي تتحقق من خلال القرآن، ومن وسائلها: دراسة الكتاب وتعليمه.

الحديث الثاني: عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ:

«كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»(١).

الْفَوَائِدُ:

هذا الأثر يؤكّد ما سبق ذكره من قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فالنبي ﷺ كان يُشرف على قضية تلقي القرآن المحقّقة لزيادة الإيمان.

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

الْفَوَائِدُ:

في هذا الحديث تأكيد على قضية مدارسة القرآن وتلاوته، وهذا من المهم جدًا أن يُفقه ويوعى، ولا ينبغي الوقوف عند شقّ التلاوة، وإنما يُشفع بشقّ التدارس.

الحديث الرابع: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: «جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ: الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ[1] فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ»[2].

الْفَوَائِدُ:

في هذا الحديث يصف أنس بن مالك ﷺ مجموعة من خيار أصحاب رسول الله ﷺ، ممن استحقوا لقبًا لانشغالهم بالقرآن، وقد وصل بهم هذا الانشغال لدرجة أن يكون عُنصرًا من عناصر الهُوية لهؤلاء الأشخاص، وهذا كان موجودًا في زمن النبي ﷺ وبعده، والذين يذكرهم أنس ﷺ في الحديث أعطاهم ارتباطُهم الدائم بالقرآن لقب «القراء»، وإذا نظرنا في طبيعة تعاملهم مع القرآن سنجد عندهم أمرًا أساسيًا، وهو: التدارس والتعلم؛ لذلك فإن إحياء مجالس تدبر القرآن والاستهداء به وتعلّمه من أعظم ما يكون من التصحيح في تلقي القرآن.

---

(١) يحتطبون: يجمعون الحطب.

(٢) أخرجه مسلم (٦٧٧).

الحديث الخامس: عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ: «حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ»(١).

الحديث السادس: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ»(٢).

الْفَوَائِدُ:

هذان الحديثان واضحان ومركزيان في كيفية تلقي القرآن على زمن النبي ﷺ، وما ذُكر فيهما أنموذج بيّن ينبغي إعادة تفعليه وتحقيقه، والمعنى المركزي في النص: تعلّم العلم والعمل، وليس الوقوف على عدد الآيات.

الحديث السابع: عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ مَكَثَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَمَانِيَ سِنِينَ؛ يَتَعَلَّمُهَا(٣).

الْفَوَائِدُ:

هذا النص أخرجه الإمام مالك بعد ذكر الخوارج، وهذا الترتيب منه في الإخراج فيه فقه كبير شريف متقدم، فهو قد أخرج حديث الخوارج وفيه: «**يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ**»، وفي هذا مقارنة بين حالتين في تلقي القرآن،

(١) أخرجه أحمد (٢٣٤٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم (٢٠٦٦)، والبيهقي في الكبرى (٥٣٥٣)، والطبري في تفسيرِهِ، واللفظُ له.

(٣) أخرجه مالك (٥٤٦).

فالخوارج وإن أكثروا من تلاوة القرآن إلّا أنّهم لم يأخذوه على ما ينبغي أن يؤخذ، ولم يحققوا من خلاله ما ينبغي أن يُحقق، فالشأن كلّ الشأن ليس في كثرة التلاوة، وإنما في كيفية تلقي القرآن، ومعرفة الغايات التي ينبغي أن تصل إليها من خلاله.

الحديث الثامن: عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ يُعَدُّ فِينَا عَظِيمًا»(١).

الْفَوَائِدُ:

هذا التلقي لهاتين السورتين الذي يدلّ على عظمة مَن فعله لم يكن مجرّد حفظ لهما، وإنما يدلّ على أنه تلقٍّ مرتبط بمتعلقات أخرى بحيث يكون الأخذ لهما يتضمن أنّ من أخذهما فقد أخذ الأداء، والعلم، والعمل الذي فيهما، وعليه؛ فصار الأخذ لهاتين السورتين له معنىً عظيمٌ جدًا.

(١) أخرجه أحمد (١٢٢١٦).

الحديث التاسع: عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ. حَدَّثَنَا: «**أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ**[١]، **ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**». ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ قَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ**[٢]، **ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ**[٣]، **كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ**[٤] **فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا**[٥] **وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ** - ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ -، **فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا. حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ**[٦]**! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**». وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا[٧].

❊ ❁ ❊

(١) جذر قلوب الرجال: أي: في أصلها.

(٢) الوَكْت: الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه.

(٣) المَجْل: النفاخات التي تخرج في الأيدي مملوءة ماء.

(٤) فنفط: وَرِمَ.

(٥) منتبرًا: مرتفعًا.

(٦) ما أظرفه: ما أحسنه.

(٧) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣).

الباب الثالث:

بَابُ تَعْظِيمِ حُدُودِ اللهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هناك ترابط بين هذا الباب والباب الأول، ووجه ذلك: أن من الأمور المطلوبة منّا تجاه مرجعية الوحي: «التعظيم» وهذا الباب متّصل بمرجعية الوحي من جهة تعظيمها.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: مجالات تعظيم الوحي:

* تعظيم الله تعالى، **والمراد بذلك**: أنّ الوحي إنّما يُعظّم لأنّه من عند الله تبارك وتعالى، فتعظيم الوحي فرع عن تعظيم الله تبارك وتعالى؛ الذي أنزل هذا الوحي.
* التعظيم المجمل للوحي، **والمراد بذلك**: أن يُعظّم الإنسانُ كتاب الله تعالى، وسنة نبيّه ﷺ.
* التعظيم التفصيلي لما عظمته الشريعة، **والمراد بذلك**: أن يُعظّم الإنسان ما عظمته الشريعةُ، فهي لم تعطِ كُلّ ما جاء فيها درجة واحدة من التعظيم، وإنما ما جاء فيها على مراتب ودرجات، ومن أعظم الفقه في الدين: أن يكون تعظيم الإنسان للأحكام والأخبار الشرعية بقدر ما عظمها الله ورسوله ﷺ.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: أصناف الناس في التعامل مع الشريعة:

* صنف يمتثل لأوامر الشريعة، ويعظّمها تعظيمًا قلبيًا خاصًّا.
* صنف يمتثل لأوامر الشريعة، ولا يكون في قلبه من التعظيم الخاص لها ما يكفي.
* صنف لا يمتثل الشريعة ولا يُعظّمها.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى:

من أظهر علامات المؤمنين أنّهم إذا ذُكّروا بالله تذكروا، وإذا خوّفوا بالله خافوا.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ:

البوابة الأساسية للوصول إلى درجة الوجل من الله إذا ذُكر؛ هي: «العلم بالله»، وله سبيلان:

- تدبر كتاب الله تعالى.
- تدبر مخلوقات الله تعالى.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ:

وجَلُ القلبِ من الله تعالى يقتضي تعظيم حدوده، وبهذا تظهر علاقة الآية بالباب.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ:

من أعظم صور علاقة المؤمن بالقرآن: تلمّس زيادة الإيمان بالقرآن.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: تعظيم شعائر الله نتيجة للتقوى الكامنة في نفس المؤمن.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: عندما يتناول المفسرون معنى «الشعائر» فإن منهم من يحصرها في شعائر الحج، ومنهم مَن يعمّمها في الحجّ وغيره من أعلام الدين الظاهرة، والتي منها:

* شعائر مكانية؛ كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد الأقصى.
* شعائر زمانية؛ كشهر رمضان، وعشر ذي الحجة، ويوم النحر.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ (١) أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

الْفَوَائِدُ:

فسّر العلماء «الفتنة» في الآية بأنها الشرك، وهذا لا يلزم منه أن تكون المخالفة بعينها كفرًا، لكنّ عقوبة مخالفة الأمر النبوي قد تكون بزيغ قلب المُخالف.

(١) فتنة: محنة، وشر، وعذاب.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟**»، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ[1] لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[2].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: من أعظم صور تعظيم ما نزَل فيه حدٌّ من عند الله تعالى أن يكون غير قابل للتعطيل بسبب الأنساب، أو الاعتبارات الشخصية أو الاجتماعية.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث دلالة على أن من أعظم أسباب الهلاك: تعطيل حدود الله لاعتبارات شخصية، أو اجتماعية.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: الأسلوب الذي استعمله النبي ﷺ في قوله لأسامة: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟**»، وصعوده على المنبر وذِكْره ما ذكر؛ يترك في نفوس الصحابة أثرًا في تعظيم حدود الله، وهذا ما ينبغي أن يكون في السياقات التربوية.

---

(١) وايم الله: لفظ من ألفاظ القسم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

الحديث الثاني: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: «إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ»[1].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: المثال الذي ينبغي أن يُحتذى ويكون في التعامل مع الأوامر الشرعية هو الجمع بين الامتثال والتعظيم، وكان أبو بكر رضي الله عنه النموذج الجامع بين الأمرين، فهو اجتنب النهي، واستصحب الخوف من عاقبة هذا النهي.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: نعيشُ نحن في زمن كثُرتْ فيه وسائل التهوين مما جاء في الشريعة، وهذا يستدعي من المربين والدعاة أن يغرسوا في قلوب الناس تعظيمَ شعائر الله، وهكذا كانت تربية النبي ﷺ لأصحابه، تربية تُعظّم شعائر الله في القلوب، وبهذه التربية خرج من أبي بكر هذا القول.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: تُعرف قيمة مقام الأمر والنهي في الشريعة من خلال ما يحتفّ به من القرائن الدالة على التعظيم، فما وردت فيه عقوبة مغلظة فهو مُعظّم من جهة النهي، وما ورد فيه ثواب عظيم مكرر يدل على أنّه مُعظّم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

الحديث الثالث: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا[١] كَانُوا أَوْ شُبَّانًا. فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ. قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ[٢] وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ[٣] وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ[٤] وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ. وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ»[٥].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: ذكر الحافظ ابن حجر ﷺ أنّ المُراد بـ«القُرّاء» هنا: العلماء العبّاد، ومما يقوي هذا المعنى الذي ذكره الإمام ابنُ حجر ما ورد في الصحيح عن أنس ﷺ قال في الصحابة الذين قُتلوا في بئر معونة: «كُنَّا نُسَمِّيهِمُ الْقُرَّاءَ، يَحْطِبُونَ بِالنَّهَارِ وَيُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ»[٦].

(١) الكهل: من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين، وقيل: من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين.

(٢) الجزل: ما كثر من العطاء.

(٣) خذ العفو: أي: الميسور من الناس.

(٤) بالعرف: بالمعروف، وهو كل قول وعمل حسن.

(٥) أخرجه البخاري (٤٦٤٢).

(٦) رواه البخاري: (٣٠٦٤)

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من أبرز صور تعظيم الوحي: أن يُوقف المؤمنُ نفسَه عن مُرادها الذي تسعى إليه بنصّ من كتاب الله تعالى، أو سنة النبي ﷺ، وهذا الوقوف من أعظم علامات الإيمان، وتعظيم الإنسان لشريعة الله تعالى.

الحديث الرابع: عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قَالَ: زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِن رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا، حتَّى إذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا، فَقُلتُ له: زَوَّجْتُكَ وفَرَشْتُكَ وأَكْرَمْتُكَ فَطَلَّقْتَهَا ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا! لا واللهِ لا تَعُودُ إلَيْكَ أبَدًا، وكانَ رَجُلًا لا بَأْسَ به وكَانَتِ المَرْأَةُ تُرِيدُ أنْ تَرْجِعَ إلَيْهِ، فأنْزَلَ اللهُ هذِه الآيَةَ: ﴿**فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ**﴾ [البقرة: ٢٣٢]، فَقُلتُ: الآنَ أفْعَلُ يا رَسولَ اللهِ، قَالَ: فَزَوَّجَهَا إيَّاهُ(١).

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٠).

الباب الرابع:

بَابُ ضَبْطِ الْأَفْهَامِ عَلَى مِعْيَارِ الْوَحْيِ،
وَتَصْحِيحِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَقَايِيسِ النَّظَرِ،
وَأَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الضَّلَالِ رَدُّ الْحَقِّ بِمَعَايِيرِ نَظَرٍ خَاطِئَةٍ

الآيات

قال قوم نوح: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ[1]﴾ [الشعراء: ١١١].

وقال قوم شعيب: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗا﴾ [هود: ٩١].

وقالت بنو إسرائيل: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وقال مشركو قريش: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وقال سبحانه: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾ [النحل: ٩٦].

وقال ﷻ: ﴿قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ [الجمعة: ١١].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ﴾ [البقرة: ١٩٥].

---

(١) الأرذلون: السفلة من الناس.

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: ما مِن أُمّة ولا بيئة إلّا ولديها معايير تكونت من خلال الثقافة، وهذه المعايير هي أخطر من المعلومات الجزئية - في الجملة -، وذلك لأمور، منها:

* أنها بوابات تدخل من خلالها معلومات كثيرة أو تُردّ.
* أنها أداة تقييم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: حين بعث الله تعالى الأنبياءَ إلى الأمم كانت لدى هذه الأمم معايير، وكانوا يُحاكمون الأنبياءَ لمعاييرهم، ومن جملة ما جاء به الأنبياءُ: تصحيح المعايير؛ فتصحيح المعايير من أخطر القضايا في طريق الإصلاح، والمصلح الواعي هو مَن يُركّز على إصلاح المعايير؛ لأن «المعيار» إطار واسع تندرج تحته أمورٌ كثيرة، والمصلح الأقل وعيًا يتعامل مع أفراد القضايا دون النظر إلى المعايير، وعليه؛ فإن المصلح الواعي ينبغي أن يجمع بين أمرين:

* إصلاح المعايير والأُطُر.
* إصلاح المعلومات الجزئية.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: معايير أهل الباطل متشابهة، وإن اختلفت الأزمنة؛ لأن هناك مصادر كبرى من الحق تؤثّر على المعايير غائبة لديهم.

الأحاديث:

الحديث الأول: عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ - وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ - فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، قَالَ: «**مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**»، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ؟!، فَقَالَ: «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟**»، قُلْتُ: بَلَى[1].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: معاني بعض الكلمات:

- **قرظًا**: القرظ: ورق شجر يُدبغ به الجلدُ.
- **أفيق**: الجلد قبل الدباغ.
- **ابتدرت عيناي**: سالت عيناي بالدموع.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: كان النبي ﷺ يعيش حياة غير مترفة، بل فيها كثير من المشاق والصعوبات، والحالة النفسية التي كانت تعتري النبي ﷺ مع هذه الحال من ضيق ذات اليد؛ كانت شيئًا عجيبًا، فكان يعيش في سبيل رسالته صابرًا محتسبًا منشرح الصدر.

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٥١٩١)، ومسلمٌ (١٤٧٩).

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: كان النبي ﷺ تمر به أنواع من الهموم، وكانت مختلفة المصادر، والهمُّ الذي في هذا الحديث كان من الناحية الاجتماعية.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: من السمات الواضحة في الصحابة: الحرص الشديد على القُرب من النبي ﷺ ، وهذه السمة مما فُضّلوا به رضي الله عنهم، وهي من الأمور التي انقطع إمكان عملها.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: عندما تكون مركزية الآخرة مهيمنة على الإنسان؛ فإنه يستعلي على النقص الدنيوي، وهذه المرتبة لا تكون إلا لمن قوي إيمانه بالآخرة.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: في قول النبي ﷺ : «**أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟**» تصحيح للمعايير، فلا عجب من أن يكون كسرى وقيصر – مع كفرهم – أُوتوا من الدنيا ما أوتوا؛ فإن الدنيا لهم، وكذلك لا عجب أن يكون رسول الله ﷺ – وهو رسول الله – في هذه الحال من الدنيا؛ فإن الآخرة له.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: من يضع هذا الحديث نصب عينيه تزُل عنه كثير من الإشكالات؛ فإن الله لم يخلق الدنيا لتكون محلًا لثواب المؤمنين، ولم يجعل الله الوصول للجنة عبر طريق جنة مادية توصل إليها، وإنما جعل الجنة في الآخرة، وجعل الطريق إليها محفوفًا بالمكاره، وجعل النار في الآخرة وجعل طريقها محفوفًا بالشهوات.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٦).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: لا ينبغي للمؤمن حين يُبتلى بشيء أن يرجع فيقول: لماذا يأتيني مثل هذا وأنا طائع لله؟ المفترض أن يكون التفكير بعكس ذلك؛ فإذا كنت طائعًا لله لا بد أن تأتيك اختبارات وامتحانات في هذه الدنيا، والاستعداد لمثل هذه الابتلاءات يكون بمثل هذا المعيار.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: أبرز صفة في السجين أنه مُقيّد، وهكذا الدين؛ فإنه قيد يُقيّد الإنسان، فأهم صورة لكون الدنيا سجنًا للمؤمن أنه مُقيّد فيها بحدود الله.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: فائدة ما ورد في الحديث من تصحيح معياري: أن الإنسان يستعد نفسيًا لمخالفة الهوى، والصبر، وتلقي التكاليف الشرعية.

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ**[1]، **إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»[2].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث دلالة على أن الشديد حقًا من يستطيع التغلب على مشاعره الداخلية؛ بحيث لا تغلبه، ومن أقوى هذه المشاعر: شعور الغضب؛ فإذا استطاع الإنسان أن يتغلّب على هذا الشعور بحيث لا يهزمه؛ فهو الشديد حقًا.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في هذا الحديث إثبات الشرف الكبير لمن يملك نفسه عند الغضب، فهذا الفعل جزء من مخالفة الهوى.

---

(١) الصرعة: الذي يصرع الناس بقوته.

(٢) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

الحديث الرابع: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟**»، قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ. قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا**»(١).

الْفَوَائِدُ:

هذا الحديث كأنما يُشير إلى أن مَن يعيش في هذه الحياة وقد اكتمل بنوه، ولم يصبهم شيء؛ كأن فيه نقصًا من هذه الجهة، ففي الحديث تصحيح معياري، وعكس للمدلول المتبادر إلى الذهن.

الحديث الخامس: عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِهِ عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ مِنَ النَّاسِ قَالَ: «**فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا أَظْرَفَهُ! وَمَا أَجْلَدَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الْمُراد بـ«الأمانة» في هذا الحديث: الدِّين بشكل عام، فقد يُنزع من الإنسان الدين، وهذا النزع قد يكون تدريجيًا.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث دلالة على أنه سيأتي زمان على الناس يُقال فيه للرجل: ما أعقله! ما أجلده! ونحو هذه العبارات، لكن عند النظر للمعيار الحقيقي - وهو

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣).

الإيمان - الذي ينبغي أن يُقيّم به الإنسان لوجدت أنه لا يملك شيئًا منه.

الحديث السادس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رُبَّ أَشْعَثَ[١] مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**»[٢].

الحديث السابع: عَنْ سَهْلٍ ﷺ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**». قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ. قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**». قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**»[٣].

الحديث الثامن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ[٤] إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ[٥] فَلَا انْتَقَشَ[٦]، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ[٧] فِي سَبِيلِ اللهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ[٨]، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ**»[٩].

---

(١) الأشعث: متلبد الشعر.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٩١).

(٤) الخميصة: كساء مربع له أعلام من صوف أو خزّ ونحوهما.

(٥) شيك: أصابته شوكة.

(٦) فلا انتقش: أي: فلا وجد من يخرج ما أصابه من الشوك بالمنقاش.

(٧) عنان الفرس: لجامها.

(٨) الساقة: الذين يكونون آخر العسكر.

(٩) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: قد يكون بين المؤمنين معايير خاطئة، قد أتت نتيجة لمؤثر من المؤثرات.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الأسلوب النبوي الذي استُعمل في حديث سهل؛ أسلوب متكرر من النبي ﷺ، وهو أسلوب مهم ينبغي أن يتّخذه المصلحون، لا سيّما إذا كان الشأن يتعلق بأمر مُعظَّم، أو تصحيح معياري.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: كون الإنسان ليس مُصدّرًا في مجالس الناس ليس معيارًا عند الله تعالى.

الحديث التاسع: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ إِلَّا تَمَّ أُجُورُهُمْ**»(١).

الحديث العاشر: عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: «غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَالرُّومُ مُلْصِقُو ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ، فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ، مَهْ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ! فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: لَمَّا نَصَرَ اللهُ نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فَالْإِلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ: أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ، قَالَ أَبُو عِمْرَانَ: فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥١٢).

الباب الخامس:

بَابٌ فِي أَنَّ الدِّينَ عَلَى مَرَاتِبَ مُتَفَاوِتَةٍ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْخَبَرِ، وَأَنَّ الْفِقْهَ فِي الدِّينِ وَالدَّعْوَةِ تَبَعٌ لِإِدْرَاكِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: من أَولى ما يُفسّر به «الدين» أنه: (الإسلام، والإيمان، والإحسان) ففي حديث جبريل المشهور دار الحوار عن هذه الثلاثة، ثم قال رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١)، فجعل هذه الثلاث من الدِّين.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: يحتوي الدِّين - جملة - على شيئين:

- أخبار.
- أوامر.

قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، فالدّين صدقٌ في الأخبار وعدلٌ في الأحكام.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: ما جاء في دين الله واشتمل على الأخبار والأوامر - مع شرفه كلّه - ليس على مرتبة واحدة من حيث الأهمية والفضل.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: من أهم ما يدخل في الفقه في الدين: إدراك تفاوت مراتب الأمر والنهي والخبر، والعمل على ضوء هذا التفاوت من حيث الأهمية والتقديم.

---

(١) رواه مسلم (٨).

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

الْفَوَائِدُ:

في هذه الآية دلالة على شيئين:

* أن المنهيات على مراتب، فمنها ما هو من كبائر الإثم، ومنها ما هو من اللمم.
* امتداح من يُعظّم هذه الكبائر تعظيم رهبة فيجتنبها.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: لا يغفر اللهُ الشرك لصاحبه إذا مات ولم يتُب.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: كلّ ذنب دون الشرك داخل تحت المشيئة، وإن لم يتب صاحبه.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: دلالة الآية على الباب تظهر من وجهين:

* بيان أن هناك شركًا، وهناك ما دونه، فالمنهيات ليست على مرتبة واحدة.
* في إثبات التغليظ الشديد في الشرك لدرجة أن الله لا يغفره، وهذا يدل على أن الأمر لا يقتصر على وجود مراتب في المنهيات، وإنما يدل كذلك على وجود أحكام مغلّظة متعلقة بهذا التفاوت.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

الْفَوَائِدُ:

في الآية دلالة على أمرين اثنين:

* **أحدهما**: إثبات أن المنهيات فيها ما هو من الكبائر، وفيها ما هو دون ذلك.
* **والآخر**: من الأقوال المشهورة في الآية: أنّ من يجتنب الكبائر تكفّر عنه الصغائر، فصار من الفقه في الدين، ومما ينبغي أن يحرص عليه المؤمن حرصًا شديدًا: اجتناب الكبائر.

الأحاديث:

الحديث الأول: عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا الْـمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**يَا أَبَا الْـمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»، قَالَ: قُلتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ**(١) **الْعِلْمُ أَبَا الْـمُنْذِرِ**»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: قول النبي ﷺ: «**أَعْظَمُ**» فيه إثبات للتفاوت والتفاضل بين الآيات القرآنية من حيث العظمة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: موجب التهنئة لِأُبَيٍّ ﷺ الواردة في الحديث: أنّه استطاع أن يدرك بفقهه وعلمه وبما ربّاه النبي ﷺ عليه أن آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله تعالى.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الحديث دلالة على أن النبي ﷺ قد ربّى أصحابه على التفاوت بين ما جاء في الدين، وبهذه التربية استطاع أُبيّ ﷺ أنْ يدرك هذا الذي أدركه، وهذا لا يكون إلّا إذا تربى على أن موضوع «العلم بالله» أشرف الموضوعات.

---

(١) ليهنك العلم: ليكن العلم هنيئًا لك.

(٢) أخرجه مسلم (٨١٠).

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي. فَقَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ:** ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾؟» [الأنفال: ٢٤]، ثُمَّ قَالَ لِي: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**»، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟، قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، **هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث دلالة على تفاوت سور القرآن من حيث عظمتها؛ فأعظم سورة فيه هي الفاتحة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من المُلاحظ في سيرة النبي ﷺ دوام استعمال الأساليب اللافتة للانتباه عند التنبيه إلى قضية مركزية، فمن أهم ما ينبغي أن يعتني به المصلحُ الحفاظ على قضية المركزيات في نفوس المتربّين.

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث إثبات للتفاضل بين الأعمال جملة، وكذا التفاضل بين الأعمال المركزية نفسها؛ فالتفاضل على قسمين:

* تفضيل درجة معيّنة من الأعمال؛ كتفضيل أركان الإسلام بمجموعها على ما دونها.
* تفاضل بين الأعمال المركزية والمحكمات الكبرى نفسها.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: يكثر في أسئلة الصحابة ﷺ السؤال عن أفضل الأعمال، وهذه نتيجة التربية النبوية على تفاوت الأعمال وتفاضلها، وينبغي على المصلح أن يُحافظ على هذا النوع من الأسئلة عند المتربّين، وإذا كانت أسئلتهم في هذا الفلك؛ فهي علامة الفقه وحُسن الثمرة التي غرسها المُصلح، أما إذا كانت أسئلتهم من جنس الأسئلة المكروهة؛ فهذا فيه إشكال، وترجع أسبابه إلى أحد أمرين:

* أن يكون الله تعالى لم يهدهم.
* الرسالة التي تركها الداعية أو المصلح في نفوسهم.

الحديث الرابع: عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[1].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث إثباتُ أمور مركزية من الدين تفضُل عن غيرها؛ لأن

(١) أخرجه البخاريّ (٨)، ومسلم (١٦).

الإسلام قد بُني عليها، واختيار هذه الأركان الخمسة وإعطاؤها هذه الصفة إنما عُرف بسنة النبي ﷺ مما يدل على أهمية السنة في إدراك هذه القضايا.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: كثيرًا ما يستعمل النبي ﷺ الأساليب التقريبية فيما فيه أعداد، وهذا من أهم الأمور المعينة على الضبط، وهذا باب من أبواب الاقتداء بالنبي ﷺ مهم؛ فاتباع النبي ﷺ والاقتداء به ينبغي أن يكون شموليًا، ومن جملته: الاقتداء المتعلّق بالبيان، والمقصود بالبيان هاهنا: القدرة على التعبير عن المعاني التي في النفس وإيصالها بوضوح إلى نفوس المتلقّين.

الحديث الخامس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ[1] بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»[2].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث من أصرح الأحاديث في إثبات التفاوت والتفاضل بين ما شرعه الله، فهو سبحانه وإن كان قد شرع أنواعًا من العبادات للتقرب إليه؛ فإن من العبادات عباداتٍ توصل إليه بما لا توصل إليه العبادة الأخرى.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: لا ينبغي أن ينحصر نظر المؤمن في أداء الفرائض إلى إبراء الذمة فحسب، وإنما ينبغي أن ينظر إليها على أنّها أفضل ما يُتقرّب به إلى الله تعالى، فلا يُتقرّب

---

(١) آذنته: أعلمته.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

إلى الله بشيء أحب إليه من أداء الفرائض، ومقتضى ذلك بالنسبة للمؤمن: أن يُحسن أداء الفرائض؛ فأداء الفرائض يكون على وجهين:

* أداء تبرأ به الذمة، وتسقط به المطالبة فقط.
* أداء تبرأ به الذمة ويكون من أعظم ما يُقرّبه إلى ربّه تبارك وتعالى.

الحديث السادس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْـمُوبِقَاتِ**[١]»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ومَا هُنَّ؟، قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْـحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْـمُحْصَنَاتِ الْـمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**»[٢].

الْفَوَائِدُ:

في الحديث دلالة على أن هذه السبع الموبقات من أولى وأشد ما ينبغي اجتنابه، فإن المؤمن نُهي عن هذه السبع وعن غيرها، وعندما يأتي النص في التأكيد على النهي عنها؛ فإن ذلك يدل على أنها من أولى ما ينبغي اجتنابه.

الحديث السابع: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟، قَالَ: «**يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ**»[٣].

---

(١) الموبقات: المهلكات.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث إثبات بأن المحرمات المغلّظة فيها تفاوت فيما بينها.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من صور الخلل الموجودة في الواقع: إقامة الخطاب الدعوي على تعظيم بعض المحرمات التي لم تُعظّم في الشريعة على حساب المحرّمات التي عُظّمت في الشريعة.

الحديث الثامن: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «**إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ**»[(١)].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: المُطالب به المؤمن بعد إدراك هذه التصورات التي في الحديث أمران:

* أن يُعظّم الدين ويعمل بشرائعه على ضوء هذا التفاوت.
* أن يُقيم خطابه الإصلاحي بناء على التفاوت في الرتب الدينية.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من أهم مفاتيح إصلاح الواقع: أن يُقيم المربّون والمصلحون خطابهم التربوي والدعوي على إثبات تفاوت حقائق الدين من حيث الأهمية والأولوية

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

- وإن كانت كلها مهمة -؛ فيُركّز على ما عُظّم في الشريعة؛ فإذا تربّى الطلاب على هذه المعاني وبنوا فقههم عليها؛ سهل تقحّم كثير من ميادين الإصلاح في الواقع، فبإعادة مركزة المركزيات وترتيب الأولويات لدى المتلقّين تُصلح كثير من المفاهيم الخاطئة التي طالما كانت حاجزًا أمام الخطاب الإصلاحي.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من أعظم أولويات الخطاب الدعوي في هذا الزمن: تعظيم الله والعلم به، وربط الناس بالآخرة، وفتح القلوب لتتلقى حقائق الأمر والنهي بتسليم.

الحديث التاسع: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**». قَالَ: ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟**»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**»، قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الحديث العاشر: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[1].

(١) أخرجه مسلم (٨).

الباب السادس:

بَابٌ فِي مَرْكَزِيَّةِ التَّزْكِيَةِ فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ وَأَهَمِّيَّةِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَأَنَّ عَلَيْهِمَا مَدَارَ الْفَلَاحِ

الْفَوَائِدُ:

للتزكية معلمان أساسيان:

- «التخلية»، وذلك بالتخلّص من أمراض القلوب وأدواء النفوس.
- «التحلية»، وذلك بالتزوّد من الأعمال القلبية، التي تقود إلى أعمال الجوارح؛ فتتحقق التزكية.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

الْفَوَائِدُ:

في هذه الآية دلالة على عظمة ومركزية التزكية في الإسلام، وذلك أن هذه الآية جواب لأحد عشر قسمًا، قال الله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١-١٠].

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦].

الْفَوَائِدُ:

في هذه الآية دلالة على مركزية التزكية وأنها من أعظم ما يُتقرّب به إلى الله، وتوضيح ذلك: أن الله تعالى جعل عمل «التزكية» سببًا لدخول الجنة.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١].

الْفَوَائِدُ:

تندرج هذه الآية تحت عنوان «وسائل التزكية»، وتدلّ على أنّ الذي يملك إعطاء الإنسان التزكيةَ هو الله تعالى.

الآية الرابعة والخامسة:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١].

الْفَوَائِدُ:

هاتان الآيتان تندرجان تحت عنوان «مركزية التزكية»، ووجه الدلالة منهما: أن الله تعالى جعل من وظائف النبي ﷺ التي بُعث من أجلها: «التزكية».

الأحاديث:

الحديث الأول: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ، كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ**[1] **وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»**[2].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الإيمان بأن الذي يزكّي النفوس ويطهّرها وينمّيها ويحلّيها هو الله رب العالمين.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الدعاء بالتزكية من أهم وسائل تحصيلها.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في هذا الحديث دلالة على مركزية التزكية، ويظهر ذلك من حرص النبي ﷺ على الدعاء بها.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: ينبغي على الإنسان الصالح صاحب العبادة والاجتهاد والبذل والتأثير أن يظلّ محافظًا على الدعاء بالتزكية، وله بالنبي ﷺ أسوة في ذلك.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: استعاذ النبي ﷺ في الدعاء من العجز والكسل والجبن والبخل، وعند التأمل فيها نجدها جزءًا من الأمراض التي تعيق التزكية، فيحتاج الإنسان إلى أن يتخلّص منها حتى تكمل تزكية نفسه.

---

(١) الهرم: كبر السن.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

الحديث الثاني: عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث في التزكية حديث مهم عظيم، ووجه ذلك: أنّه جعل التزكية هي المبتدأ والمنتهى في مدرسة النبي ﷺ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: تَعَلُّمُ القرآن في مدرسة النبي ﷺ محكوم بإطار، وهو: أنّ هذا القرآن الذي أتعلّمه؛ إنما أتعلمه ليزداد إيماني وأهتدي به.

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**التَّقْوَى هَاهُنَا** -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ-»(٢).

الحديث الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(٣).

الحديث الخامس: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً(٤) إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(٥).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٤) مضغة: هي القطعة من اللحم.

(٥) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذه الأحاديث دلالة على مركزية عمل القلب في الدين، والذي يتربّى من المؤمنين على هذا المعنى؛ فإنّه يتربى تربية صحيحة موافقة لمنهاج النبوة، والذي يتربى على التركيز على الأعمال الظاهرة دون التركيز على الأعمال الباطنة فلم يُربَّ على الخير التام، وإن كان قد تربى على خير، وفيما يلي مقامات الناس في ذلك:

- التربية على الأعمال القلبية وأعمال الجوارح.
- التركيز في التربية على الأعمال الظاهرة والمهم منها دون التركيز على الأعمال القلبية.
- التركيز في التربية على مستحبات الأعمال الظاهرة، وإهمال الواجب منها، وإهمال الأعمال القلبية كذلك.
- التركيز على الأعمال الباطنة دون الأعمال الظاهرة.

والصحيح من هذه المقامات: التركيز على العمل الباطن، والإعلاء من شأنه في نفوس المؤمنين، والتربية على أنّ الأصل هو ما في القلب الذي هو موضع نظر الرحمن ﷻ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: المقصود بالنظر إلى القلب: النظر إلى ما فيه من إخلاص لله تعالى وصدق في محبته والعمل له، والخشية منه، وهذا ما يجب أن يُنمّى التنمية الأساسية في نفس الإنسان، وإذا تمّ ذلك؛ فالنتيجة المباشرة: سرعة الاستجابة في الأعمال الظاهرة.

الحديث السادس: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ»(١).

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٧).

الْفَوَائِدُ:

في هذه الآية تحذير من وسيلة من الوسائل التي تُقسّي القلب، وقد وقع بها أهل الكتاب من قبل، وهي: طول الأمد بين الإنسان وبين مرجعية الوحي، ونفهم من ذلك: أن من أعظم أسباب رقة القلب ولينه: دوامَ الاتّصال بالوحي.

الحديث السابع: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂ قَالَتْ: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ -أَيِ: الْقُرْآنِ- سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ[1] النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَى أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ[2] وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]، وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ»[3].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذا الحديث دلالة على أثر صلاح القلب وتذكّر الآخرة على استعداد النفس للاستجابة للأمر والنهي.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: إذا أراد الداعيةُ أن يستجيب الناس للأوامر والنواهي؛ فليحرص على زيادة إيمانهم وتصديقهم ويقينهم واستحضارهم الآخرة؛ فإنه مما يعين على امتثال الأوامر والنواهي.

❊ ❁ ❊

(١) ثاب: رجع.

(٢) أدهى: من الداهية، وهي الرزية العظمى تنزل بالمرء.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٩٣).

الباب السابع:

بَابُ شَرَفِ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَفَضْلِهِ وَذَمِّ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ

الْفَوَائِدُ:

في هذا الباب إشارة إلى ثلاث قضايا:

* شرف العلم وفضله.
* بيان أهمية أن يكون العلم نافعًا.
* أن العلم إنما يُراد للعمل، فمن لم يعمل بما علم فهو مذموم.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذه الآية بيان شرف العلم وفضله، ووجه ذلك: أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بالازدياد منه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: العلم المقصود في الآية هو «الوحي» ومما يبين ذلك سياق الآية، فقد قال الله تعالى: ﴿فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من أهم وسائل تحصيل العلم: الدعاء.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية في ذكر أُناس من عباد الله الصالحين، عرفوا ما ينفعهم فأمضوا ليلهم في القيام بين يدي الله تعالى.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: مركز ولبّ العلم المذكور في الآية هو العلم المتعلّق بالآخرة ومعرفة الله تعالى.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في هذه الآية إشارة إلى أنّ من ثمرات العلم التي ينبغي أن تظهر على صاحبه: أن ينعكس عليه بالخشية من الله تعالى، والحذر من الآخرة، وأن يكون لهذا الانعكاس أثر عملي، ومن جملة هذا الأثر: قيام الليل.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذه الآية دلالة على أن العلم يُثمر الخشية من الله تعالى، وهي من أعظم وأشرف ما يصل إليه الإنسان المؤمن؛ لأمرين:

* لأن الله تعالى جعلها مرتبطة باسم العلماء.
* لأن الله تعالى جعل الإنذار والاعتبار لأهل هذه الصفة، ومن شواهد ذلك: قوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠]، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨].

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: إذا أراد العبدُ أن يصل لخشية الله تعالى فإن سبيل ذلك: العلم.

الأحاديث:

الحديث الأول: عَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث يندرج تحت عنوان «شرف العلم وفضله».

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أشار بعض العلماء إلى أنّ مفهوم هذا الحديث مقصود كذلك، وهو: من لم يُرد اللهُ به خيرًا؛ لا يُفقّهه في الدين.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: المُراد بـ«الفقه» هنا: الفقه العام في الدين.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: كلمة «الدين» تشمل أصوله وفروعه، ومجموع حقائقه، وحديث جبريل المشهور فيه كشف عن دلالة الدين، فهو بعد أن سأل النبيَّ ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة؛ قال النبي ﷺ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**».

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: مقامات الفقه في الدين:

* مقام حفظ العلم وتبليغه، وهو مقام شريف لكنّه في أدنى درجات الفقه.
* مقام الفقه في الدين المتعلّق بالجانب النظري، وهو راجع إلى قضية فهم مراتب العلم ومحكماته، والقدرة على حلّ مشكلاته، واستنباط حقائقه.
* مقام الفقه في الدين المتعلّق بالجانب النظري، إضافة إلى إجراء العمل على وفق ذلك الفقه، فعمله فيه فقه، وذلك باختيار الأولويات، والعمل المناسب، وطريقة الأداء، وطريقة الدعوة إلى الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: من الفقه في الدين: أن يوفّق الإنسان للعمل بعمل يُجري عليه الحسنات بعد الموت.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في هذا الحديث حثّ على النفع بالعلم، وذلك بتبليغه، وتربية الطلاب عليه.

الحديث الثالث: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث دلالة على أنّ من العلم ما لا ينفع.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: ليس الشأن في أن يكون عند الإنسان مطلق العلم، وإنما أن يكون عنده من العلم ما ينفع.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

الحديث الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[1].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث كشف عن سؤال في غاية الأهمية التي تكشف للإنسان المؤمن الشيء الذي ينبغي أن يعتني به، وهذا السؤال: «ما عملتَ فيها؟».

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: روح العمل في «الإخلاص»، وفقدان هذه الروح يجعل العمل غير مقبول، ومن هنا نفهم فقه السلف الذين قالوا: «الإخلاص روح العمل».

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في النفس خصائص ورغبات وشهوات قد تتعاظم حتى تصبح كالخيل الجامحة التي لم تُروّض، فالإنسان إن عوّد نفسه على الإخلاص لله تعالى، وعلى مجاهدة نفسه في قطع شتاتها ورغباتها؛ سيجد أن قدرته على قيادة نفسه وتوجيهها ليس بالأمر الصعب.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: إذا جاهد الإنسان نفسه وهذّبها فسيصل لمرحلة يصير الإخلاص فيها من أحب الأعمال إليه، وسيصبح لا يجد راحته ولا طمأنينته ولا سكينته إذا لم يكن العمل لله.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: من أعظم ما يُكرم به الإنسانُ في الآخرة: «الإخلاص لله تعالى».



الباب الثامن:

بَابٌ فِي مَرْكَزِيَّةِ الْعَمَلِ وَ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْعِلْمِ، وَتَرْبِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابَهُ عَلَى الْعَمَلِ، وَ إِبْعَادِهِ إِيَّاهُمْ عَنِ الْقِيلِ وَالْقَالِ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: ربّى النبي ﷺ أصحابه على العمل الصالح، وما في الباب من آيات وأحاديث فيه إثبات لهذا الأمر.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: إضافة إلى ما ذُكر في الباب من الآيات والأحاديث الدالة على مقصود الباب؛ فإن حياة النبي ﷺ كانت كلّها عملًا، ومرافقة النبي ﷺ بحد ذاتها تربّي الإنسان على العمل؛ لأن سيرته كانت عملية، فالدين ليس دروسًا نظرية فحسب، وإنما عمل وتفانٍ في هذا العمل.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: مَن يلتزم سيرة النبي ﷺ قراءة ودراسة وتكرارًا؛ فسيناله قبس من النور الذي نال أصحابَ رسول الله ﷺ بمصاحبتهم المباشرة له.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠١].

الْفَوَائِدُ:

في هذه الآية دلالة على أنه لا يُحمد ولعُ الإنسان بالأسئلة وتوليدُه إيّاها دون تنبّه لطبيعة السؤال؛ أهو محل طرح أم لا؟ وهذه الآية آتية في سياق السؤال عما لم يُحرّم؛ فيتكلّف البعض بالسؤال عنه؛ فينزل الوحي بالتحريم بسبب هذا السؤال.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: أخرج الشيخان في «صحيحيهما»[(١)] عن مسروق بن الأجدع أن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «مَن عَلِمَ فَلْيَقُلْ، ومَن لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أعْلَمُ، فإنّ مِنَ العِلْمِ أنْ يَقُولَ لِما لا يَعْلَمُ: لا أعْلَمُ، فإنّ اللهَ قالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾».

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في هذا الأثر تفسير للآية الواردة في الباب، ففيه ذم لمن يتكلف بما لا يعلم، لا سيما إذا كان هذا التقحم لما لا يعلم جدليًا، وهذا واقع في حياة الناس،

(١) البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم: (٢٧٩٨)

وكثيرًا ما يكون الجدل فيما لا يعلم الإنسانُ حقيقته، ولو أن الناس التزموا هذه الآية؛ فلم يتكلّفوا الكلام فيما لا يعلمون لكان في هذا قطع لكثير من موارد النزاع.

الآية الثالثة والرابعة والخامسة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال سبحانه عن موسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وقال عن محمد ﷺ: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: لقد كانت حياة أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام كلها عملاً، فهم يعيشون بهذا قبل أن يربوا أصحابهم على ذلك.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: إذا لم يكن المصلحون أول الناس عملًا؛ فهم مخالفون لمنهج الأنبياء.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث دلالة على أنّ الدين دينُ عملٍ، فما جاء في الدين من آيات وأحاديث؛ فإن المقصود منها: أن تُمتثل.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الأوامر التي جاءت في الشريعة مما ينبغي على المسلم أن يمتثله كثيرة، وكذا المنهيات، وكثير منهما محكم ليس محلًا للخلاف، والذمّ الشديد يقع على الإنسان الذي لا يتمسّك بهذه المحكمات تمسّك العامل بها، وإنما ينتقل من التمسك بهذه المحكمات لأحد أمرين:

* لِما لم ينزل فيه شيء.
* المسائل الخلافية.

هذا هو عين ما نهى عنه النبي ﷺ، لا سيّما إذا ظهرت الروح الجدلية عند هذا الإنسان، وحينها قد يكون الموقف الصحيح إما بعدم الجواب عليه وإما بتوجيهه إلى التزام ما ينبغي أن يلتزمه.

* الاعتبار بالأمم السابقة هو باب من أبواب التفقه في الدين، وهو باب قد كثُر الحديث عنه في كتاب الله تعالى، وسنة نبيّه ﷺ، فما ذكره الله عن الأمم السابقة قابل للتكرار في أمتنا، وما ذكره الله عنهم فيه تحذير من أعمال معينة،

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

وليس ذكرًا لقصص غابرة.

* الولع بالقضايا النظرية التي لا يتعلّق بها عمل من أسباب الهلاك.

الحديث الثاني: عَنْ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ: اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: كثيرًا ما يوصل الانشغال بـ«القيل والقال» إلى ما حرّم اللهُ من الغيبة والنميمة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: قول النبي ﷺ: «**كَثْرَةَ السُّؤَالِ**» حملها العلماء على أمرين:

أ- السؤال المالي.

ب- كثرة السؤال والانشغال عما هو من المحكمات الواردة في الشرع، كما ورد في الحديث السابق.

الحديث الثالث: عَنْ نَوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ ﷺ قَالَ: «أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً، مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ(٢)، كَانَ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) المسألة: الأسئلة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذا الحديث دلالة على التربية النبوية على العمل، فصار العُرف عند الصحابة أن مَن يُهاجر لا يسأل، وإنما يعمل، وفي الحديث تفريق بين دوائر الصحابة، فعندنا دائرتان:

* مَن لا ينبغي له الدخول في المسألة.
* مَن أُتيح له السؤال، والأساس فيها: مَن يأتي من خارج المدينة؛ لأنه لم يسمع من النبي ﷺ أبدًا، أو سمع ولكن شيئًا قليلًا.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: ليس في الحديث دلالة على مُطلق السؤال، فقد كان الصحابة يسألون النبي ﷺ إذا نزلت بهم نازلة، والذي يدخل في الحديث: أن يكون الأساس عند الإنسان هو الانشغال بالسؤال.

الحديث الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**[١]»[٢].

الحديث الخامس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، والدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ، وطُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا، وأَمْرَ العَامَّةِ، وخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ**»[٣].

---

(١) العَرَض من الدنيا: المتاع الدنيء، والثمن الرديء.

(٢) أخرجه مسلم (١١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٧).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذان الحديثان عظيمان في الحثّ على العمل، وفيهما دلالة على أن المؤمن العاقل الموفق يستغل أوقات السَّعَة والانطلاق بما شاء اللهُ من العمل؛ لأن طبيعة الحياة أن فيها متغيّرات، خصوصًا في آخر الزمن، فقد تقع تغييرات تمنع من العمل.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث دلالة على أن الأعمال تقلّ - عادة - أيام الفتن؛ لانشغال الناس بها، ولكثرة التقلبات.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: الحث على الأعمال قبل مجيء الفتن يكون لأمرين:

* لتكون وقاية من الفتن.
* لاستغلال أوقات الإمكان والفراغ.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: مع كثرة ما وقع من الفتن في هذه الأمة بعد وفاة النبي ﷺ؛ إلا أنه لم تقع فتن يصدق عليها بأن الرجل - حينها - يُصبح مؤمنًا ويُمسي كافرًا، لكن في زماننا هذا هناك من الفتن ما يصدق عليها هذا الوصف.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: فُسِّرَ قول النبي ﷺ: «**خُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ**»، وقوله: «**أَمْرَ العامَّةِ**» بأحد تفسيرين:

* الموت.
* ما يشغل الإنسان في حياته وشؤونه.

الحديث السادس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الأعمال التي تعلق على مثل الأسلوب المذكور في الحديث؛ فإن الحث عليها مؤكَّد.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث حث للمؤمن بأثمن ما يمتلكه، وهو الإيمان، فإن كنت مؤمنًا قل خيرًا أو اصمت.



(١) أخرجه البخاري (٦١٣٥)، ومسلم (٤٨).

الباب التاسع:

بَابٌ فِي صِدْقِ النِّيَّةِ وَأَنَّ الْعَمَلَ الْمَقْبُولَ هُوَ مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى وَوَافَقَ السُّنَّةَ

الْفَوَائِدُ:

هذا الباب له ارتباط بباب التزكية، وهو والباب الذي بعده تطبيق لقضية التزكية.

الآيات

قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الآية إبراز للعمل الصالح الذي يستعدّ به المؤمن للقاء ربه، وهو ما اجتمعت فيه صفتان:

- أن يكون صالحًا.
- أن يكون خالصًا.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: العمل الصالح هو المنبثق من نور الوحي، ففيه اتباع لكتاب الله وسنة نبيّه ﷺ؛ لأن فيهما العمل الصالح.

الأحاديث:

الحديث الأول: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: قد اتّفق أئمة الإسلام على تعظيم هذا الحديث، قال الإمام ابن حجر ﷺ: «واتَّفق عبدُ الرَّحمنِ ابنُ مهديٍّ والشَّافعيُّ فيما نقلَهُ البُوَيْطِيُّ عنهُ وأحمدُ ابنُ حنبلٍ وعليُّ بنُ المدينيِّ وأبو داودَ والتِّرمذيُّ والدَّارَقُطْنِيُّ وحمزةُ الكِنَانِيُّ على أنه ثلثُ الإسلامِ»(٢).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث إثبات لأهمية «النية» وشأنها، فعمل من الأعمال الشاقة؛ كالهجرة؛ لا يشفع لصاحبه إذا لم يبتغِ به وجه الله.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الحديث لم يذكر ثواب الهجرة، فبحسب المرء أن تكون هجرته إلى الله ورسوله ﷺ.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ١١) الطبعة السلفيّة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: ما ذُكر في هذا الحديث من أهمّ ما يبعث على الإخلاص لله تعالى، فالله تعالى هو أغنى الشركاء عن الشرك.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: كلما كان الإنسان بالله أعرف، سواء من ناحية غناه أو كماله أو عظمته؛ كان في عمله له أكمل إخلاصًا.

الحديث الثالث: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ**»[1].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: استحضار النية في الأعمال التي لها تعلّق بالعادة فيه صعوبة؛ لأن منزع العادة فيها كبير؛ فتطغى العادة على إمكان الاستحضار، أما استحضار النية في الأعمال الصعبة التي هي عبادة محضة فهو أسهل.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: التفاضل الحقيقي يوم القيامة ليس بكثرة الأعمال فحسب، وإنما هو في النيّات.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨).

الحديث الرابع: عَنْ عِتْبَانَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»(١).

الحديث الخامس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**»(٢).

الحديث السادس: عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وأَنّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**»(٣).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: مع كل الشرف والفضل لكلمة التوحيد؛ إلا أنه ينبغي أن يُصحب القول بوجود أوصاف معيّنة في القلب تواطئ اللسان حينما يقول: «لا إله إلا الله»، ومن جملة هذه الأوصاف: (الإخلاص، والصدق).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من هذه الأحاديث تُدرك أن العمل مهما شرُف في ذاته وكان مُعظّمًا - كما في كلمة التوحيد - إلّا أنه يُرفع ويُحمل بالنية الصالحة.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: ينبغي على الإنسان المؤمن أن يُدرك أن الشأن كلّ الشأن هو على ما في القلب، وما في القلب ينبغي أن يجعله المؤمن معيارًا لديه من حيث استقامته.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٠١)، ومسلم (٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

الحديث السابع: عَن عائِشَةَ ﵂ قالتْ: قُلتُ: يَا رسولَ الله ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ ويُطْعِمُ المِسْكِينَ فَهلْ ذاكَ نافِعُهُ؟ قالَ: «**لا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يومَ الدِّينِ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الأعمال المتعلّقة بالإحسان إلى الناس هي من أفضل الأعمال في الشريعة، لكنّها ليست معتبرة في ذاتها من حيث النفع الأخروي؛ إلّا إذا ابتُغي بها وجه الله تعالى.

الحديث الثامن: عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ ﵁ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ**»، قَالَ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ**(٢) **بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ. وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤).

(٢) يخبط في ماله: يسرف في ماله بصرفه في الباطل والحرام وشهوات النفس.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: يدل هذا الحديث على أمرين اثنين فيما يتعلق بالسنة النبوية:

* حرص النبي ﷺ على نقل السنة وتبليغها.
* الحثّ على حفظ السنة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: حثّ النبي ﷺ على الإبلاغ يتضمن عدالة المُبلِّغ، وهم الصحابة رضي الله عنهم.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في هذا الحديث دلالة على أن الإنسان قد يبلغ بنيّته ما يبلغه أصحاب الإمكانات في الأعمال الصالحة التي لا يمكن للإنسان العادي أن يبلغها.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: في الحديث دلالة على أهمية العلم بالنسبة للعامل، فهو من أهم الأمور التي يُوجَّهُ بهَا مَن يعملُ، بحيث يعمل بشكل صحيح يكون فيه مقبولًا عند الله تعالى.

الحديث التاسع: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: من أهم معايير العمل الصالح: أن يكون موافقًا لما كان عليه النبي ﷺ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في هذا الحديث دلالة على قدسية الشريعة ومكانة النبي ﷺ فالشريعة لم تأت آمرة بفعل الخير فقط، وإنما بفعل الخير بحسب الميزان والصراط المستقيم.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

الحديث العاشر: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: «**إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا[١] وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[٢].

الحديث الحادي عشر: عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**»[٣].

الْفَوَائِدُ:

في هذين الحديثين إثبات بأن النية الصادقة تبلغ بالإنسان مبلغًا عليًّا.



(١) شعبًا: طريقًا في الجبل.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٣٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٠٩).

الباب العاشر:

بَابُ أَهَمِّيَّةِ اسْتِحْضَارِ الْغَايَةِ، وَالْحَذَرِ مِنْ مُزَاحَمَةِ الْغَايَاتِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَطَالِبِ الدَّنِيئَةِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الحذر من مزاحمة الغايات الشريفة من الأمور الشاقة على النفوس، لكنها تهون على من يستحضر الغايات الشريفة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: إذا ضعف استحضار الغايات الشريفة سهُل على المصادر الْمُفْسِدَةِ أن تَتَسلل على دين الإنسان فتفسده وتأكل منه دون أن يشعر.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، ومعنى يشري: يبيع.

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: إذا استحضر المؤمن أثناء عمله أنه يبتغي به وجه الله؛ فإن ذلك مما يُهوّن مشقة العمل؛ لأن المطلوب غالٍ وعالٍ وثمينٌ، وهو ابتغاء رضوان الله.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الغاية التي يصرف الإنسان عمله إليها فيتحقق الإخلاص هي ابتغاء مرضاة الله.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

الْفَوَائِدُ:

الشاهد من الآية الدالّ على مقصود الباب قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِي﴾، أي: في سبيل طاعة الله، وإقامة دينه، والثبات عليه.

الأحاديث:

الحديث الأول: عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً[١]، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا، فَقَالَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ** ﷻ»[٢].

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**»، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»[٣].

---

(١) حمية: أنفة وغضبًا.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤).

(٣) أخرجه النَّسائي (٣١٤٠).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: من أهم الغايات التي ينبغي أن تكون عند المؤمن: أن تكون كلمة الله هي العليا.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: إذا كان الجهاد - وفيه ما فيه من البذل - لا يُكتب فيه الأجر إلا بإخلاص النية؛ فما دونه من الأعمال التي لا تتطلب جهدًا كبيرًا لا يُكتب فيها الأجر من باب أولى.

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ**»(١).

الحديث الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ - وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ**»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذين الحديثين إشارة إلى أن هناك من الناس من يُشارك في مثل هذه الأعمال ولا تكون نيّته خالصة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من قاتل وبذل ولم يكن ذلك في سبيل الله؛ فلن يتحقق له الثواب المذكور.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٦٣)، ومسلم (١٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٧)، ومسلم (١٨٧٨).

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الحديث دلالة على أن الجهاد إذا كان في سبيل الله؛ فإنه من أفضل الأعمال التي يُتقرّب بها إلى الله.

الحديث الخامس: عَنْ كَعْبِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ والشَّرَفِ[1] لِدِينِهِ**»[2].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث استعمال لأسلوب المثل، وهو من الأساليب المستعملة بكثرة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وهو مما يُقرّب المعاني إلى الأفهام، وهو مسلك من المسالك التي ينبغي على الدُّعاة أن يسلكوها، وذلك بالحرص على أمرين:

* تقريب أمثال الكتاب والسنة.
* إنشاء أمثال تناسب أحوال الأزمنة التي يُخاطب الدُعاة فيها المدعوين؛ ويُقرّبون إليهم معانيَ الشريعة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: يتحدث النبي ﷺ في المثل الذي ضربه عن ذِئبين جائعَين أُرْسِلَا في غَنَم لا حارسَ عليها، والعادة أنه إذا دخل ذئب واحد وهو جائع على غنم؛ فإنه يفتك بها؛ فما بالك وهما ذئبان؟ حينها لا تسأل عن الفساد الذي يمكن أن يحصل بهذه الغنم بسبب هذين الذئبين الجائعين.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: هذه الصورة من إرسال الذئبين الجائعين بالغة في الفساد، والنبيُّ ﷺ يريد أن يبيّن أن هناك صورة أخرى بالغة في الفساد وتُفسد شيئًا ثمينًا دون

---

(١) الشرف: الولاية، والسلطان، والمال، والعلو بالأمور الدينية.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

أن ينتبه لها البعض، والأمران اللذان يُسببان الفساد بهذا الشيء الثمين ليسا بأقل إفسادًا من إفساد الذئبين الجائعين في الغنم، أما الأمران فهما:

* الحرص على المال.
* الحرص على الشرف.

وأما الأمر الشريف فهو الدّين، فالدّين له أشياء تفسده، من أبرزها هذان الأمران.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: جمع المال والاستكثار منه ليس أمرًا محرّمًا، وبعض صور الحصول على الشرف ليست محرمة؛ فيرجع الأمر إذًا إلى قضية «الحِرْص».

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: كما أن صاحب الأغنام لا تتم له النعمة بمجرد جمع الغنم، وإنما يحتاج إلى الحفظ والصون، وكذلك المؤمن إذا لم يصن دينه؛ فقد يتسلل إليه ما يُفْسِدُه.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: أمام المؤمن في سيره إلى الله ثلاثة أبواب لا بد أن يُحافظ عليها:

* باب في إنشاء الطاعة.
* باب في الثبات على الطاعة.
* باب في حماية الطاعة من الفساد.

الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: ينبغي للمؤمن أن يكون متنبّهًا للأبواب التي يدخل عليه منها الفسادُ.

الْفَائِدَةُ الثَّامِنَةُ: الأصل في حرص المرء على الشرف أنه مذموم، لكنه قد يكون ممتدحًا إذا كان وسيلة لإقامة الدين.

* ❁ *

الباب الحادي عشر:

بَابٌ فِي تَحَمُّلِ الْفَرْدِ مَسْؤُولِيَّةَ التَّكْلِيفِ تِجَاهَ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الأبواب الماضية، كانت كالأساس والتمهيد للانطلاقة التي تبدأ في هذا الباب، فبعد أن وقفنا على الأبواب الماضية وما تضمنته من معانٍ يأتي هذا الباب ليقول للمرء: عليك مسؤولية.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: المسؤولية في هذا الكتاب قسمان:

- قسم تُجاه النفس وغيرها؛ كالأقارب والأبناء.
- قسم تُجاه الإسلام والمسلمين، وهو ما سيأتي في الباب القادم.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: ترتيب هذا الباب والذي يليه مقصود، والمراد منه أمران:

- أنّ العمل للإسلام مسؤولية للشخص في ذاته يجب أن يتحملها.
- أن الاهتمام بالمسؤولية العامة للإسلام ينبغي ألّا يصرف الإنسانَ عن المسؤولية المُطالب بها تُجاه نفسه.

الآيات:

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: تجمع هذه الآية بين بابي المسؤولية:

* المسؤولية العامة تجاه الإسلام والمسلمين.
* المسؤولية الشخصية تُجاه الواجبات العامة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: كان النبي ﷺ ينطلق في امتثاله لأوامر الله من هذا المبدأ المذكور في الآية، وهو: أنّه مكلّف وحده.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: كان النبي ﷺ يسير في حياته باعتبارين:

١- أنه عبد مُكلّف. ٢-أنه نبي مُبلّغ.

الآية الثانية والثالثة:

قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].

وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى[1] نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨].

الْفَوَائِدُ:

في الآيتين ذكر ليوم القيامة، وأن الإنسان يأتي يوم القيامة وحده، والوحدة من أشق الأمور على النفس، فالنفس كثيرًا ما تستأنس بمن حولها، لا سيّما بيوم كيوم القيامة، وهذا مما يرسّخ في النفوس أهمية الاعتناء بمسؤولية المرء تجاه نفسه.

(١) لا تجزي: لا تقضي ولا تغني.

الأحاديث:

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[(١)].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: النبي ﷺ الذي سيشفع للخلائق يوم القيامة لن يغني عن الناس من الله شيئًا، وكل ما سيأتي من شفاعةٍ له إنما هو بإذن الله، ومجرد القرابة منه ﷺ لا تُسقط المسؤولية التكليفية.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث دلالة على أهمية نظر الفرد للمسؤولية تُجاه نفسه.

الحديث الثاني: عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث دلالة على أن أيّ شيء اؤتمن الإنسان عليه سيُسأل عنه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: تعظم المسؤولية وتزداد بقدر التكاليف التفصيلية التي يُكلّف بها الإنسان.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: مما يدخل في المسؤوليات: مسؤولية تبليغ الدين للناس والدفاع عن الدين، وهذه المسؤولية عظيمة أمام الله تعالى، وإذا عظمت المسؤولية ينفتح للإنسان بابان:

- باب إلى الجنة.
- باب إلى النار.

الحديث الثالث: عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ قَالَ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ[١] وَرَفَّعَ[٢] حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ[٣]، فَقَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ**[٤]»[٥].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: لعلو البيان النبوي فيما كان يتكلّم عنه كان الصحابة يشعرون

---

(١) خفَّض فيه: حقّر من أمره. وقيل: خفض صوته بعد طول الكلام والتعب؛ ليستريح.

(٢) رفَّع: عظّمه وفخّمه. وقيل: رفع صوته ليبلغ كلّ أحد.

(٣) طائفة النخل: أي: قطعة من النخل قريبة إلينا.

(٤) حجيج نفسه: مدافع عن نفسه، ولا يحتاج إلى غيره.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

كأنهم يرون ما يتحدّث عنه النبي ﷺ من أمور الغيب، وهذا من البركات التي لحقت الصحابة رضي الله عنهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: عندما رأى النبي ﷺ الفزع الذي عند أصحابه خفف عنهم وأحدث لهم توازنًا.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: مع عِظَم فتنة الدجال وتأثيرها إلا أن رسول الله ﷺ قال فيها: «فامرؤ حجيج نفسه» فما دونها من الشبهات والشهوات أولى بأن يكون المرء فيه حجيج نفسه.

الحديث الرابع: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**[١]، **فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ**[٢] **فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ**[٣]، **فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[٤].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث دلالة على ضرورة اتقاء ذاك الموقف الذي يقف فيه الواحد منا لا يرى إلا النار تلقاء وجهه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذا الحديث يؤكد على أهمية تحمّل الإنسان المسؤولية تجاه نفسه.



(١) ترجمان: هو المفسر للكلام.

(٢) أشأم منه: أيسر منه.

(٣) تلقاء وجهه: مقابل وجهه.

(٤) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

الباب الثاني عشر:

بَابٌ فِي الْمَسْؤُولِيَّةِ الْعَامَّةِ تُجَاهَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: مِن الناس مَن يُزهّد في «المسؤولية العامة تُجاه الإسلام والمسلمين»، ويحصر اهتمامه - مثلًا - في العقيدة، وحقيقة الأمر أن هذا الباب من صميم العقيدة، فهو داخل في «الولاء والبراء»، وكثير ممّن يزهّد في هذا الباب يتّفق على أن «الولاء والبراء» من أصول العقيدة، لكنه يكاد يحصر هذا الأصل في الشقّ الثاني منه، وهو: «البراء»، ناسيًا «الولاء للمؤمنين» والذي تدخل فيه نصرةُ المؤمنين، وموالاتهم، ومحبتهم، ومعونتهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من الظلم والتلبيس: تهميشُ هذا الباب، ورمي الداعين إليه بألفاظ من نحو: «الحركية»، و«السياسة».

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من الإشكالات المترتبة على تهميش هذا الباب: أن يكون بعض الناس صحيح العقيدة من الناحية النظرية، لكنه منتكس من جهة «الولاء للمؤمنين»، ويكون وجهه مع أعداء الأمة الإسلامية عليها، ويهوّن من هذا الباب بما أنه أتقن الجانب النظري في العقيدة، وبعض الناس يُعظّم من شأن المعتني بقضايا المسلمين وإن كانت عقيدته ليست صحيحة، والخطأ في كلا البابين كبير.

الآيات:

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية تؤسس للعمل في سبيل الله، وفي سبيل المستضعفين، أو عن المستضعفين، فإحدى الغايات التي ينبغي أن ينظر إليها المؤمن أثناء عمله: النظر للمستضعفين، وعليه؛ فمن اهتم لأمر المستضعَفين من المؤمنين؛ فهو مهتم بما حضّ الله تعالى عليه في كتابه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الغايات التي تُراد من العمل الواحد متفاوتة، ومن غايات الجهاد: استنقاذ المستضعفين، وهو أعظم أجرًا من الجهاد الذي هو الطمع في الكفَّار.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ[1]﴾ [الأنفال: ٧٢].

---

(١) الميثاق: العهد.

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الآية حديث عمّن آمن ولم يُهاجر إلى النبي ﷺ مع عِظم هذا الأمر، ومع ذلك فلم يسقط عنهم عقد الولاية، ولم يسقط عن المؤمنين واجب النصرة لهم مع تقصيرهم، لكنه يكون بدرجة أدنى.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: لأجل ما أخل به المؤمنون الذين لم يهاجروا من أمر الهجرة حصل استثناء في نصرتهم إن طلبوها، إلا على قوم بينهم وبين المهاجرين والأنصار ميثاق.

الآية الثالثة والرابعة:

قال الله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩].

وامتدح الله هذه الأمة بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

الْفَوَائِدُ:

أن تُذكر مرتبة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» على أنها سمة من سمات هذه الأمة؛ فإن هذا يجعلها في مرتبة شريفة وعالية.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ[١] وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا[٢] عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا[٣] مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»[٤].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث بيان لفضل «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وبيان أهمية عدم ترك المجتمع يسير إلى منحدر الفساد والإعراض عن دين الله تعالى.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الأعمال الصالحة كلما زادت وجوه شرفها، وأنواع الفضل المتعلقة بها؛ دلّ ذلك على عِظم أهميتها في الدين، و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وردت وجوه في بيان فضله وأهميته ومركزيته في الإسلام.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الحديث دلالة على أن «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» سبب للنجاة العامّة من العذاب؛ فإن «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» يُتطلّب لأمرين:

---

(١) حدود الله: محارم الله.

(٢) استهموا: اقترعوا.

(٣) استقوا: طلبوا الماء.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

* لنجاة الإنسان بنفسه من عذاب الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥].
* لنجاة المجتمع ككلّ من عذاب الله سبحانه وبحمده.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث أمر وحث على تغيير المنكر، وهذا من أوجه أهمية هذا الأمر.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث يتكلّم النبي ﷺ عن حال المؤمن في التعامل مع المنكر، وهذا فيه فتح لباب في فقه «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: هناك طريقان لاكتساب فقه «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»:

* **طريق عام شمولي،** وقد يكون غيرَ مباشر، ومن أهم ما يدخل فيه: التفقّه بهدي الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى الله؛ لأن سيرتهم هي «أمر بالمعروف ونهي عن المنكر»، وكلّما كان الإنسان بسير الأنبياء أفقه؛ كان أحرى به أن يُصيب الحق في باب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وكلما غاب هدي الأنبياء في الإصلاح عن الإنسان المؤمن؛ كان أحرى به ألا يصيب الحكمة في باب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».
* **طريق مباشر،** وله بابان:

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

* **أحدهما**: في شرح الأحاديث المتعلقة بـ«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» من كتب شروح الأحاديث.
* **والآخر**: في الكتب المفردة في فقه «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ**»[(١)].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث دلالة على خطورة ترك الفساد والمنكر والظلم بلا نكير.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: ترك الظالم دون نكير سبب من أسباب العقاب الإلهي العام الذي ينزل على الناس.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: «الظلم» من أولى ما يدخل تحت اسم «المنكر» الذي ينبغي أن ينكر، فلا ينحصر المنكر في الانحلال الأخلاقي والفسق والفجور، ولا ينحصر في البدع.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: من يقرأ الآية التي ذكرها أبو بكر ﷺ قد يشتبه فهمها عليه؛ فيظن أنها تدل على إسقاط «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وأبو بكر ﷺ أتى بالآية وكشف الشبهة التي قد ترد على القلوب، وهذا التصرف منه ﷺ ينبغي أن يكون نبراسًا للعلماء والفقهاء، فإذا كان هناك نص يحصل بسبب فهمه لَبْسٌ في قضية من قضايا الدين؛ ينبغي أن يُفَكَّ هذا الالتباس.

---

(١) أخرجه أحمدُ (٣٠).

الحديث الرابع: عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ﵂ أَنَّهَا قَالَتِ: «اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**» - وَعَقَدَ سُفْيَانُ تِسْعِينَ أَوْ مِائَةً[١] -، قِيلَ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**»[٢].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: من أهم ما ينبغي أن يؤرّق الصالحين ويجعل جنوبهم تتجافى عن المضاجع: كثرة الخبث، وليس في الحديث نفي عن دفع الصالحين للهلاك إذا وُجدوا، لكنه نفى أن يكون وجود الصالحين دفعًا للهلاك في جميع الأحوال، فإذا كان من سمة الحال والواقع أن الخبث قد كثر؛ فهنا يخشى الإنسانُ العذاب العامّ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: العذاب العام ليس بالضرورة أن يكون «صيحة» أو «خسفًا»، فقد يكون بتسليط الأعداء على هذه الأمة.

---

(١) عقد سفيان تسعين: أي: عطف السبابة إلى أصل الإبهام، وضمّها بالإبهام، وهذه طريقة معروفة عند العرب في عقود الحساب.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠).

الحديث الخامس: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْـمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْـجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْـجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْـحُمَّى**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث تأسيس لمسؤولية الفرد المسلم في العمل للإسلام، ونصرة المسلمين، والتعاطف مع قضاياهم، وموجب هذا التعاطف: الأخوّة الإيمانية.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: التعاطف مع قضايا الأمة ليس اختراعًا حزبيًا، ولا مبدأ حَرَكيًا، وإنما هو هدي نبوي متّصل بالعقيدة، وكما أن الخلل في باب من أبواب العقيدة؛ كـ«الأسماء والصفات»، و«الإيمان والقدر» يعتبر خللًا مشكلًا يستحق المعالجة؛ فكذلك الخلل في «الولاء للمؤمنين».

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من المنكرات العظمى في هذا الزمن: محاربة مفهوم «الأخوة الإيمانية، والانتماء للأمة الإسلامية، ونصرة قضايا المسلمين»، وعليه؛ فإن من أولويات الإصلاح في هذه المرحلة: المحافظة على مبدأ «الأخوة الإيمانية»، و«الولاء للمؤمنين»، وعدم الاستسلام لهذه الحرب التي تُشوّه بها هذه المفاهيم.

❊ ❁ ❊

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

الباب الثالث عشر:

بَابٌ فِي مَرْكَزِيَّةِ اتِّبَاعِ هَدْيِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهَمِّيَّتِهِ لِلْمُصْلِحِ فِي عِبَادَتِهِ وَدَعْوَتِهِ وَصَبْرِهِ

الْفَوَائِدُ:

الاعتناء بما جاء عن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه من أهم ما ينبغي أن يعتني به أيّ إنسان يؤمّل أن يكون في المستقبل مصلحًا نافعًا.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذه الآية يبيّن الله لنبيّه ﷺ أنه يقصّ عليه من أنباء ما سبق ليثبت به فؤاده؛ لأنه رسول كما كانت الرسل من قبله، وتعرّض لما تعرّضوا له، وأُصيب بما أُصيبوا به من البلاء والشدّة والتكذيب والاستهزاء، فإن في اقتدائه بمَن قبله من الرسل والأنبياء ومعرفة أخبارهم ما يُثبّت فؤاده.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الخطاب في الآية ليس خاصًا بالنبي ﷺ وإنما هو يشمل مَن اتّبعه من أمّته ممن يسير على طريقه في الدعوة والإصلاح، فإنه يناله من المكذّبين والمستهزئين وأعداء الحق ما ينال الأنبياء، وعليه؛ فإنه يحتاج إلى تثبيت كما احتاج الأنبياء من قبله، واتّباعُ قصص الأنبياء ومعرفة أحوالهم واتّباعهم من أهم ما يكون به تثبيت الفؤاد؛ لذلك كان اتّباع هدي الأنبياء مركزيًا للإنسان المصلح.

الآية الثانية:

﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذه الآية أمر لرسوله ﷺ بالصبر، وبيّن له أن هذا الصبر ليس بداية في سنة الله بالنسبة للمرسلين والأنبياء، فقد كان الأنبياء من قبل يصبرون.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الآية خطاب وإيناس لَمن جاء بعد النبي ﷺ ممن يسير على طريق الأنبياء والمرسلين بأن يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل.

الآية الثالثة:

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية من الآيات المهمة جدًا في تتبع هدي الأنبياء والمرسلين؛ لأن فيها ذكرًا لأتباع النبي ﷺ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: «الدعوة إلى الله» هي المعلم الأساسي في السبيل الذي سار عليه النبي ﷺ، والصفة المميّزة للداعي إلى الله في هذا السبيل: أنّه على بصيرة.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الآية دلالة على أهمية أن يكون المصلح على بصيرة، وهي: الحجّة

والوضوح واليقين، فلا بد أن يمتلك المصلحُ الحجة، وأن يكون على يقين، وأن يكون على بيّنة من أمره، لأنه لا يستطيع الصبر على ما يُصيبه إذا لم يكن موقنًا أنه يسير على الطريق الصحيح؛ لذلك فإننا نجد أن من جملة ما يُخاطب الله به أنبياءه في الوحي ما يُثبّت يقينهم ويقويّ إيمانهم، ومن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

وقال لموسى عليه السلام في بداية رسالته: ﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾ [طه: ٢٣].

وقال في شأن محمد ﷺ بعد أن عرج به إلى السماء: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨].

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية عظيمة جدًا في بيان أهمية هدي الأنبياء، فقد أمر الله نبيّه محمدًا ﷺ بالاقتداء بهديهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الآية دلالة على أنّ الأنبياء - وهم من هم - إنما هداهم الله، وهذا يُبيّن قيمة الهداية.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: هذه الآية مركزية في بيان أهمية معرفة هدي الأنبياء؛ لأن الاقتداء بهم لا يكون إلا بعد معرفة هديهم.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا[١] مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

الْفَوَائِدُ:

النبي ﷺ كان يستحضر الأنبياء في دعوته وطريقه، وفي الآية أمر له بأن يبين أنه على ملة إبراهيم، وهذا الاستحضار من النبي ﷺ لإبراهيم عليه السلام وأنه على دينه وملّته من أعظم ما يُبيّن قيمة استحضار هدي الأنبياء والمرسلين، ومَن بعد النبي ﷺ أولى بالاستحضار.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا[٢] مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»[٣].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث يبيّن أنّ النبي ﷺ في حياته التفصيلية كان يستحضر هدي الأنبياء والمرسلين، ثم يتصبّر من خلال هذا الاستحضار.

---

(١) دينًا قيمًا: قائمًا بأمر الدنيا والآخرة.

(٢) يحكي نبيًا: من المحاكاة، وهي المشابهة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الذي يريد أن يسير على هدي النبي ﷺ، ويكون ممن يريد أن يُعلي من شأن هذه الأمة، وله دور في رفع كلمة الله، وفي نصرة هذا الدين؛ لا بدّ أن يكون دائم الاستحضار لما تعرّض له النبي ﷺ والأنبياء قبله، حتى إذا مرّ بمواقف الشدة والابتلاء والصعوبة يتذكّر هذا الهدي للأنبياء؛ فيستمد منه بإذن الله الصبر والثبات، وما يُقال الآن إنما هو كلام نظري، وقلّة من الناس الذين يستطيعون تحويل هذا الكلام إلى واقع تطبيقي عند نزول الشدائد بهم، فليس من السهل استحضار الحقائق في أوقات الشدائد.

الحديث الثاني: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسْمًا فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذا الحديث ميدان آخر استحضر به النبي ﷺ وقت الشدة ما كان عليه إخوانه من الأنبياء قبله.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: النبي ﷺ قد ابتُلي بأنواع الابتلاءات، من المشركين، ومن المنافقين، ومن جهل الأعراب، بل حتى من بعض الصالحين من أصحابه، فمنهم من فرّ يوم أُحُد، ومنهم من عصاه فنزل من على الجبل يوم أُحُد، وابتُلي ﷺ بالأمراض، وفي هذا الحديث أُوذي النبي ﷺ من بعض مَن ينتسبون إليه ممن ليسوا على طريقه، باتهامه بأمانته، وهذا قد يكون من أشد الابتلاءات التي تعرّض لها النبي ﷺ، لأن التشكيك بالأمانة من أكثر

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢).

ما يؤلم ذوي الأمانة، ففي هذا الإيذاء مما صبّر النبيَّ ﷺ استحضارُه لأخيه موسى عليه السلام الذي أوذي بأكثر من هذا فصبر.

الحديث الثالث: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ؛ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ؛ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث يبيّن أهمية هدي الأنبياء في عبادتهم، ففيه يبيّن النبيُّ ﷺ هديَ نبي من الأنبياء قبله، ويدعو لاتّباع هدي ذاك النبي في هذه العبادة الواردة في الحديث.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: لو أن إنسانًا صام كل الأيام باستثناء الأعياد؛ فإنه يلقى الله بصيام أكثر، وتعب أكثر، وأجر أقل ممن يصوم صيام داود، ومن كان يقوم الليل من العشاء إلى الفجر منذ بلوغه إلى أن يموت؛ فإنه سيلقى الله بتعب أكثر، وسجود أكثر، وقراءة للقرآن أكثر، وأجر أقل ممن يقوم كقيام نبي الله داود؛ لأن الشأن ليس في التعب والكثرة، وإنما في موافقة الأحب إلى الله، والذي يُعلم عن طريق أنبيائه عليهم صلوات الله وسلامه.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: سبب هذا الحديث: أن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ كان ممن فتح الله عليه في العبادة وكان شابًا، فإن قوة الدفعة الإيمانية والنفثة الروحية التي كانت بوجود النبي ﷺ تجعل الناس ينطلقون انطلاقة هائلة سريعة، وهذه الانطلاقة تحتاج إلى ضبط، ففي زمن النبي ﷺ كان التخوّف من الزيادة من التعبد، وليس من القلّة، وهذا يبين المقدار الإيماني الكبير الذي كان يتلقاه الصحابة، ومن هؤلاء الصحابة:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٠)، ومسلم (١١٥٩).

عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، فقد كان يختم القرآن كل ليلة، ويصوم كلّ يوم، فسمع النبيُّ ﷺ بذلك فوجّهه؛ لأنه كان ينظر بعينيه إلى المستقبل البعيد، فهو يريد منه أن يتعبّد اللهَ بعبادة يسير عليها بعد عقود كما يسير عليها اليوم، والنبي ﷺ يُحِب - وحبّه فرع عن حب الله - العبادةَ الثابتة المستمرة التي يُواظب عليها في كلّ الأحوال.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: من عظمة هذا الدين وكماله أن النبي ﷺ كان يوجه أصحابه للاستقامة من بداية الطريق.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: حين وجه النبيُّ ﷺ عبد الله في هذا الموقف وجهه باستحضار هدي نبيّ من الأنبياء؛ فجعله لعبد الله بن عمرو أنموذجًا ومعيارًا؛ لأن المؤمن يحتاج إلى هدي الأنبياء في مختلف شؤونه، وهذا من الخير العميم الذي قد ينال الإنسان المؤمن، ومن الوسائل التي تعزز من قيمة هدي الأنبياء بالنسبة للإنسان المؤمن: العناية بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.



الباب الرابع عشر:

بَابُ فَضْلِ الْإِصْلَاحِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَأَهَمِّيَّةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الباب له ارتباط بباب «تحمل الفرد مسؤولية التكليف تجاه نفسه وغيره» لأن الذي يحرك النفسَ أمران:

- الشعور بالمسؤولية.
- الرغبة بالعمل من خلال ذكر فضائله، أو ترهيب من خلال التحذير من تركه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: معرفة فضائل الإصلاح والدعوة إلى الله تعالى من جملة المثبتات على الطريق، لأن الذي يسير وهو مستحضر الأجر والفضل يهون عليه ما يعترض الطريق من عقبات.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الدعوة إلى الله من مقامات القدوة في الدين والإمامة فيه، فهي من الوسائل التي يكون الإنسان فيها قدوة في الخير.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الدعوة إلى الله ليست مختصّة بدعوة غير المسلمين للإسلام، وإنما يدخل فيها: الحثّ على الخير، بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والزجر عما نهى الله عنه، ومجادلة أعداء الله بالتي هي أحسن، وغير ذلك من الصور.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: قوله: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ صورة من صور الاعتزاز، والتي قد يكون الإنسان فيها قدوة بعمله، فهذه الآية تبيّن طرفي الاقتداء: القولي والفعلي.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الآية بيان للطريق الموصل للإمامة في الدين، وهو: الصبر واليقين.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: قال الشيخ السعدي ﷺ في تفسيره: «وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، وكفُّوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات،﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله إلى درجة اليقين، وهو العلم التام الموجب للعمل»[(١)].

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الآية بيان لدور الأئمة والمرجعية التي يرجعون إليها، وذلك بقوله: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، فالدور الأساسي لأئمة الدين: هداية الخلق.

---

(١) تفسير السعدي: (١/ ٦٥٦).

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

الْفَوَائِدُ:

قال الشيخ السعدي ﷺ في تفسيره: «أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين والكُمَّل من عباد الله الصالحين وهي درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم يقتدى بأفعالهم، ويطمئن لأقوالهم ويسير أهل الخير خلفهم فيهدون ويهتدون، ومن المعلوم أن الدعاء ببلوغ شيء دعاء بما لا يتم إلا به، وهذه الدرجة -درجة الإمامة في الدين- لا تتم إلا بالصبر واليقين كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ فهذا الدعاء يستلزم من الأعمال والصبر على طاعة الله وعن معصيته وأقداره المؤلمة ومن العلم التام الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، خيراً كثيراً وعطاءً جزيلاً وأن يكونوا في أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل»[(١)].

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

الْفَوَائِدُ:

قال الإمام الطبري ﷺ في تفسيره: «ولكن يقول لهم: كونوا أيها الناس سادة الناس وقادتَهم في أمر دينهم ودنياهم، ربَّانيِّين بتعليمكم إياهم كتاب الله وما فيه من حلال وحرام وفرض وندب وسائر ما حواه من معاني أمور دينهم، وبتلاوتكم إياه ودراسَتِكموه»[(٢)].

(١) تفسير السعدي: (١/ ٥٨٧).

(٢) تفسير الطبري: (٥/ ٥٣٣).

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

الْفَوَائِدُ:

هذه الآية تدل على خيرية هذه الأمة، وأوّل صفة ذكرت تابعة لخيرية هذه الأمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الآية السادسة والسابعة والثامنة:

قال الله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ[1] بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وقال جل وعلا: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦].

الْفَوَائِدُ:

من فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أنه سبب للنجاة من العذاب.

---

(١) بئيس: شديد.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»(١).

الحديث الثاني: عَنْ جَرِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذان الحديثان يفتحان للمسلم أُفُقًا في أن يكون قدوة في الدين، ولو لم يكن واسع العلم، فقد تكون القدوة بأن يوفّق اللهُ العبد لسنّ سُنّةٍ في الخير مما جاء به رسول الله ﷺ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديثين حث عظيم للدعوة إلى الخير؛ وتبيين عِظم الأجر المترتب على ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).

الحديث الثالث: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[1].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث يبين قيمة ومكانة العلماء من جهة كونهم صمامَ أمانٍ للأُمّة، فمنزلة العلماء منزلة خطيرة، وفيها حماية لشأن الدين، وينبغي لصاحب هذه المنزلة أن يخاف أن يكون ممّن ذمّهم النبي ﷺ بقوله: «**فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**».

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث دلالة على أن الناس من شأنهم اتّخاذ رؤوس في الدين، سواء أكانوا رؤوسًا من أهل العلم أو من أهل الجهل.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الحديث بيان لفتنة من الفتن التي قد تحصل للأمة الإسلامية، وهي: حالة غياب العلم، ثم يبيّن ﷺ أنّ غياب العلم لا يكون بأن يُنزع كمعلومات، وإنما يكون بقبض حملته.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: هذا الحديث له ارتباط بالأحاديث التي ذُكرت قبله؛ ففيه: أن العالم يُفتح له من باب الأجور أنّه مهتدٍ بنفسه، وهادٍ لغيره، وفيه من الجهة الأخرى: أن الرؤوس الجُهَّال ضالون بأنفسهم، ولغيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

الحديث الرابع: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ[١] أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**»، فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟، فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ**[٢] **حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[٣].

الْفَوَائِدُ:

الدعوة إلى الله تعالى تجارة رابحة، وقد يُفتح على الإنسان حتى إنه لينام في فراشه وأجوره تجري عليه، وتُكتب له في صحائف أعماله، حتى إذا مات تجري عليه الحسنات وهو في قبره.

❊ ❁ ❊

(١) يدوكون ليلتهم: أي: باتوا في اختلاط واختلاف.

(٢) انفذ على رسلك: امض لوجهك مترفّقًا متثبّتًا.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

الباب الخامس عشر:

بَابٌ فِي صِفَاتِ الْمُصْلِحِينَ
وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعَامِلُونَ لِلْإِسْلَامِ

الْفَوَائِدُ:

بعد ذكر فضل الدعوة إلى الله تعالى يأتي في هذا الباب حديث عن الصفات التي ينبغي أن يكون عليها المصلح.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ [المائدة: ٥٤].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: مِن سنن الله تعالى: أنّه يعلّق نصرة دينه على وجود مَن يحمله من البشر، وهؤلاء البشر يمدّهم اللهُ بمدد من عنده إذا اتّصفوا بصفات معيّنة، فالشأن في تطلّب هذه الصفات، التي إذا وُجدت واستقام عليها المصلحون سيأتيهم المدد من ربّهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من أهم صفات المصلحين: «محبة الله تعالى»، فلا ينبغي أن يُظنّ أن إعداد المصلحين يكون بمجرّد الإعداد الظاهري من مهارات وأدوات؛ فإن هذا من الوهم، ومن أوّل الصفات التي ينبغي أن يتلبّس بها المصلحون، وقد ذكرها الله تعالى في هذه الآية، هي: المحبة لله، وهي عمل باطني.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من صفات المصلحين: أنهم «أذلة على المؤمنين» و«أعزة على الكافرين»، فيتّصف المصلح بالرحمة واللين وخفض الجناح والذلة؛ إذا كان الطرف الآخر من المؤمنين، وهو نفسه يتصف بالعزة والشدّة على الكافرين، وموجب هذا التنوع في الصفات: أنهم يحبون الله ويحبهم، فالدافع لمحبة المؤمنين واللين لهم: الاشتراك في معنى محبة الله، والدافع للعزة على الكافرين والشدة عليهم: مضادتهم لمحبة الله تعالى.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: لأن هؤلاء العاملين الذين ذكرهم الله يحبون الله، ويقدّمون هذه المحبة على كلّ شيء؛ تهون عليهم أنفسهم؛ فتتحقق الصفتان اللتان في آخر الآية، وهما: «الجهاد في سبيل الله»، و«عدم خوفهم في الله لومة لائم».

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: إذا كانت «محبة العبد لله» تقوده لنصرة دين الله، والتضحية في سبيله، والصبر على الشدائد؛ فإن هذا مقياس على أن المحبة تسير في الطريق الصحيح، أما إذا كانت «محبة العبد لله» تعزل العبد عن العمل لدين الله، والصبر على الشدائد؛ فإن هذا مقياس على وجود إشكال في هذه المحبّة.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ[1] فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: «الصلاة» من أعظم شعارات المحبّين، فكأن الشعور الذي يخرج من القلب في محبة الله؛ لا يحتويه - عمليًا - إلّا السجود؛ لذلك فإن للمحبين صلةً خاصة بـ«الصلاة».

(١) سيماهم: علامتهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: قوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ لا ينحصر بالفرائض، فهم حيثما أردت أن تراهم ركعًا سجدًا رأيتهم.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: من أهم صفات المصلحين «القوة»، وأهم ما يدخل في هذه الصفة: القوة المعنوية أوّلًا، ثم القوة المادية بما يناسب كلّ حالة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: تأتي صفة القوة في الوحي ويدخل فيها معانٍ متعددةٌ، ومن ذلك:

١- القوة في العمل، وذلك كما ورد في الآية.

٢- القوة البدنية، كما قال الله تعالى عن طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً[1] فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

٣- القوة المطلقة كما سيأتي في هذا الباب.

الآية الرابعة:

قال سبحانه على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ[2] إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

---

(١) بسطة: سعة.

(٢) خزائن الأرض: أي: خزائن أرض مصر.

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: قوله: ﴿حَفِيظٌ﴾ يشير إلى صفة «الأمانة»، والتي ينبغي أن تكون متوفرة في القائم على الجانب المالي.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ يُشير إلى صفة «العلم»، والمراد به هنا: العلم بالثغر الذي سيقوم عليه.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

الْفَوَائِدُ:

هذه الآية تشير إلى صفتي «القوة» و«العلم».

الآية السادسة:

قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن(١) مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ(٢) كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟(٣) لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟(٤) وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

[آل عمران: ١٤٦].

و قبل ذكر الفوائد لا بد من التنبيه إلى أن هذه الآيات جاءت في سياق الحديث عن غزوة أُحد، وفي سياق إشاعة وفاة النبي ﷺ وما حصل من تشتت، وفرار من البعض.

---

(١) كأين: كثير.

(٢) ربيون: جموع كثيرة.

(٣) وهنوا: ضعفوا.

(٤) استكانوا: خشعوا وذلوا.

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الآية تنبيه إلى أهمية استحضار واستذكار قصص الثابتين والمصلحين قبلنا، واستجلاب هذه القصص عند الأزمات والحوادث؛ فإن هذه القصص من أعظم ما يُعين على الثبات، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الصفات المذكورة في الآية من الثبات والصمود والصبر ينبغي تطبيقها.

الآية السابعة:

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الآية إشارة إلى أنّ وصول المؤمنين إلى حالة الإمامة في الدين لا يمكن أن يكون بلا صبر.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: مَن ظنّ أنه سيسير في طريق الأنبياء والمصلحين، ويكون مؤثّرًا في واقعه، ويكون سببًا في نهضة المسلمين؛ ثم لا يصاحب الصبر؛ فهو واهم.

الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الخطاب في الآية موجّه للمؤمنين، وهي من أدلّ الآيات على أهمية «صناعة المصلحين»، وأن هذه القضية منهج للأنبياء.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: «الربانية» في الآية فيها تجاوز لثبات الشخص في نفسه؛ لأن الربانية هنا مأخوذة من «الرَّبَّان» وهو الذي يقود، قال الإمام أبو جعفر الطبري ﵀: «فمعنى الآية: ولكن يقول لهم: كونوا أيها الناس سادة الناس وقادتهم في أمر دينهم ودنياهم، ربَّانيِّين بتعليمكم إياهم كتاب الله وما فيه من حلال وحرام وفرض وندب وسائر ما حواه من معاني أمور دينهم، وبتلاوتكم إياه ودراسَتِكموه»(١).

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: الوسيلة المذكورة في الآية للربانية هي: «اعتماد مرجعية الوحي»، قال صديق حسن خان ﵀: «فدلت الآية على أنّ العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًا، فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود فقد ضاع علمه وخاب سعيه»(٢).

الآية التاسعة والعاشرة والحادية عشرة:

قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ۖ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ(٣) أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

---

(١) تفسير الطبري: (٥/ ٥٣٣).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن: (٢/ ٢٧٣).

(٣) يظنون: يوقنون.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ قَالَ: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا[١] مِنْ بَعْدِنَا، قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ: «**لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ**»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ[٢] أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ**»، فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»[٣].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث إبراز لصفة من الصفات التي تُرشّح وترجّح بعض المصلحين على غيرهم، وهي: «الأمانة».

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: اللافت للانتباه في سيرة النبي ﷺ أنّه كان ملاحظًا ومنتبهًا لصفات أصحابه، وبالتالي كان يُكلّف ويُرشّح بناء على ما يعلمه من صفات أصحابه، ومتى ما فُقد هذا المعنى في السياقات التربوية؛ فَقَدْ فُقِدَ رُكنٌ أساسي من أركان بناء المصلحين وتفعيلهم.

---

(١) عقبنا: أبناؤنا.

(٢) فاستشرف له: أي: تطلعوا للولاية، ورغبوا فيها.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٨٠)، ومسلم (٢٤٢٠).

الحديث الثاني: عَنْ مُعَاوِيَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**[(١)]»[(٢)].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث من المبشرات في أنّ هذه الأمة لن يُقضى عليها، وسيبقى فيها من يقوم بأمر الله.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: البشرى التي في الحديث لا تعني عدم وجود أزمات ونكبات، وإنما يبشّر أنّ مع وجود النكبات والأزمات وحالات الضعف؛ سيكون في هذه الأمة مَن هو ثابت على دينه، قائم بأمر الله.

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»[(٣)].

الْفَوَائِدُ:

قال الإمام النووي ﷺ: «والمرادُ بالقوّة هنا: عزيمةُ النَّفسِ والقريحة في أمور الآخرة؛ فيكون صاحبُ هذا الوصفِ أكثرَ إقداماً على العدوِّ في الجهاد، وأسرعَ خروجاً إليه وذهاباً في طلبه، وأشدَّ عزيمة في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والصَّبرِ على الأذى

---

(١) ظاهرون على الناس: غالبون على الناس متعالون عليهم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

في كلِّ ذلك واحتمالِ المشاقِّ في ذات الله تعالى، وأرغبَ في الصَّلاة والصَّوم والأذكار وسائرِ العبادات، وأنشطَ طلباً لها ومحافظةً عليها»[١].

الحديث الرابع: عَنْ أُسَامَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ[٢] فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»[٣].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث إبراز لصفة من أهم الصفات التي ينبغي أن يكون عليها المصلحون، وهي: «العمل بالعلم».

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: ذِكْرُ الجنة والنار والدار الآخرة، هو الذي أرّق الصالحين على مرّ التاريخ، بل إنّ الله تعالى قال في كتابه عن الصالحين الذين يقومون الليل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، فالخوف من عذاب الله من أهمّ ما يُحرّك الأنام، ويكون رادعًا لهم عن الذنوب والآثام.

---

(١) المنهاج (١٦/ ٢١٥).

(٢) تندلق أقتابه: تخرج أمعاؤه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

الحديث الخامس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ**». فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ**[١] **لِأَهْلِ مَكَّةَ**»[٢][٣].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: اشترك الأنبياء في أن قدّر الله عليهم رعاية الغنم، لأن في هذه الرعاية تدريبًا على معانٍ يُحتاج إليها في سياسة الناس.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذا الحديث يدل على أهمية الدربة والتجربة للمصلحين في طريقهم.



---

(١) قراريط: موضع في مكة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٦٢).

(٣) قال الإمام ابن حجر رحمه الله: (قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة؛ لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها، وشدة تفرقها مع ضعفها، واحتياجها إلى المعاهدة؛ ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، واختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها، ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها؛ فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة، لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، وخُصّت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها؛ ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقيادًا من غيرها) فتح الباري (٤/ ٤٤١).

الباب السادس عشر:

بَابٌ فِي أَهَمِّيَّةِ الْوَعْيِ بِسَبِيلِ الْمُجْرِمِينَ وَالْحَذَرِ مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَكَيْدِهِمْ وَالتَّنَبُّهِ مِنْ مَكْرِ الْمُنَافِقِينَ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الباب لا يستغني عنه المصلح في تكوينه وبنائه، ولا في طريقه الإصلاحي من جهة الأداء.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من المعاني الكبرى التي تربى عليها المسلمون في زمن النبي ﷺ أنّهم ربّوا على الوعي، فأصحاب رسول الله ﷺ رُبّوا على الوعي، ولم يكونوا ممن يُستغفل من الأعداء، وإنما كانت عقولهم يقظة، وكان لديهم الحذر الدائم، وكانوا على معرفة بمعالم سبيل المجرمين، ونحن في زمن يحتاج فيه المصلحون إلى تأكيد هذا المعنى؛ لأننا في زمن تطوّرت فيه وسائل الأعداء بصورة لا تُقارن بالماضي، وكثيرًا ما يُؤتى العاملون للإسلام من جهة غفلتهم.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: الوعي هو أمر من أمور الدين، بخلاف ما يظنه بعض الناس من انفصاله عن القضايا الشرعية، وسنجد من خلال هذا الباب آيات وأحاديث تبيّن أهميّة الوعي.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ(١) سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

[الأنعام: ٥٥].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الله سبحانه وتعالى يُحبّ ويريد أن يكون سبيل المجرمين بيّنًا واضحًا، حتى لا يلتبس بسبيل المؤمنين، ومن معاني السوء الكبرى التي جاء الوحي بمعالجتها: التباس الحق بالباطل، والتباس سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين؛ لذلك يكثر الحديث في القرآن عن هذا، وبخاصة عند الحديث عن أهل الكتاب.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذه الآية وردت في سورة الأنعام، وفي هذه السورة تطبيق عملي لبيان سبيل المجرمين، وبخاصة في النصف الثاني منها، فإن القارئ فيها يجد أن الله تعالى يبين كثيرًا من أحوال وطرائق المجرمين، ومبادئهم، ومحرّكاتهم، وأقوالهم ومآلاتها الفاسدة.

---

(١) لتستبين: لتظهر.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢].

الْفَوَائِدُ:

هذه الآية عجيبة في مقدار التفصيل الإلهي في الأمر بالحذر واليقظة والوعي للمؤمنين في سياق قتالهم للكفار وأدائهم العبادة، ففي الآية تكرار بيّن للحذر، وهذه الآية جزء من وحي شمولي كان يتنزّل فيُوقظ المؤمنين الذين يتلقون هذا الوحي، ويجعلهم يقظين حذرين من الغفلة حتى في الصلاة.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا (١) وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا (٢) لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[التوبة: ١٠٧].

(١) ضرارًا: لأجل ضرر المؤمنين.

(٢) إرصادًا: انتظارًا وإعدادًا.

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الآية توعية من الله تعالى لعباده المؤمنين بألا يغتروا بما يصنعه المنافقون من أساليب ظاهرها الصلاح، وينبغي على المؤمنين أن يتبيّنوا المقاصد، فإن تبيُّنَ المقاصد من وسائل كشف أحوال المجرمين.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الوسيلة التي اتّخذها المنافقون هي وسيلة من أعظم وسائل الصلاح والإصلاح، فهم بنوا مسجدًا، وقد يخطر في بالك وقوع الفساد في أيّ مكان إلّا في المسجد، لكن الله تعالى يبيّن للمؤمنين أنه ينبغي عليهم أن يتيقّظوا لعدوّهم الداخلي من المنافقين الذين يتّخذون مختلف الأساليب للإضرار بالمؤمنين.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: بيان المقاصد التي يُريد المنافقون أن يحققوها من اتّخاذ هذا المسجد هو تنبيه للمؤمنين إلى العناية بالمقاصد، وأن الأدوات الصالحة والشريفة لا تشفع لصاحبها إذا كانت المقاصد باطلة.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: الشاهد من الآية الدالّ على مقصود الباب: أن المؤمن واعٍ يقظٌ، وأن المؤمنين في زمن النبي ﷺ كانوا يربّون من الله تعالى على اليقظة والتنبّه والوعي.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: عند المقارنة بين المرحلة التي كان فيها المؤمنون يُربّون على الوعي واليقظة والانتباه، وبين مثل زماننا هذا الذي يعيش فيه كثير من الصالحين حالة من الغفلة عن إبصار حقيقة الأعداء، وحقيقة كيدهم بالإسلام، وحقيقة المقاصد التي يريدون الوصول إليها، وحقيقة الأدوات التي يستعملونها؛ نخرج بأنه لا عجب من استمرار المشاكل، وتأخر الصلاح والإصلاح، فكثير من الصالحين والمصلحين لديهم غفلة كبيرة في جانب الأعداء وكيدهم.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ (١)﴾ [البقرة: ٢٠٤].

الْفَوَائِدُ:

من الناس مَن يُشهد الله على ما في قلبه ابتغاء الوصول إلى مآرب فاسدة، وهذا ذكره الله مرارًا عن المنافقين أنهم يتّخذون أيمانهم جُنّة، فيتقون العقوبة النبوية بالأيمان، وهذا لا يعني أن المؤمن يكون في حياته شكّاكًا بالناس، بل الأصل أن الإنسان يأخذ الناس بالظاهر كما هو منهج النبي ﷺ وأصحابه، وفي نفس الوقت لا ينبغي أن يكون هناك اغترار، ومن وسائل القياس: عرْض القول على العمل، فإذا كانت حال الإنسان وحقيقة ما هو عليه بعيدة كلّ البعد عمّا يحلف عليه، بل هي مناقضة؛ فإن هذا من المؤشرات على أن هذا الشخص كاذب لا ينبغي الاغترار بقوله.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞ (٢) وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥].

---

(١) ألد الخصام: أشدهم خصومة.

(٢) رجس: خبثاء البواطن.

الْفَوَائِدُ:

هذه الآية، وغيرها من الآيات في سورة التوبة، أو سورة الفتح، أو غير ذلك؛ تدل على وجود جزء كبير من القرآن في الحديث عن المنافقين، وأساليبهم، وأدواتهم، وأحوالهم، ومقولاتهم؛ لأن «بيان سبيل المجرمين» من المقاصد الشرعية، وليكون المؤمنون على حالة من اليقظة والتنبّه لأعدائهم، وبما أن هذا كان بهذه القيمة في كتاب الله؛ فإنه يدل على محبة الله لذلك من عباده المؤمنين، أي: أن يولوا لبيان سبيل المجرمين قيمة في جميع الأزمان، فمما يُتقرّب به إلى الله أن يتعرّف المصلح على واقعه ويفهمه.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يُلْدَغُ**[١] **الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**»[٢].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث يثير في الذهن سؤالًا، وهو: «ما العلاقة بين اسم الإيمان وبين ألا يُلدغ الإنسان من جحر واحد مرتين؟»، إن النبي ﷺ ربط في هذا الحديث بين المؤمن واليقظة والتنبّه والحذر، فصاحب الإيمان لا ينبغي أن يكون غافلًا بحيث يُلدغ من جحر واحد مرّتين.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: قال الإمام الخطَّابي رحمه الله: «وهذا لفظه خبرٌ ومعناه أمرٌ، يقول: ليكن المؤمن حازمًا حذرًا لا يؤتى من ناحية الغفلة، فينخدع مرة بعد أخرى، وقد يكون ذلك في أمر الدين، كما يكون في أمر الدنيا وهو أولاهما بالحذر»[٣].

---

(١) لا يُلدغ: لا يُلسع.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨).

(٣) أعلام الحديث: (٣/ ٢٠٢٠).

الحديث الثاني: عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا[١]»[٢].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: كان النبي ﷺ يتّخذ بعض الأساليب التي يُفهم من خلالها بين الصحابة أن الوجهة في هذه الغزوة إلى مكان غير المكان الذي يريد النبي ﷺ التوجّه إليه؛ لكيلا يتسرب الخبر وينتشر الكلام فيصل إلى الأعداء، فيفقد عنصر المفاجأة، وهذا ما نسميه باليقظة، والوعي، والحذر، واتّخاذ الأسباب.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: لم يكن النبي ﷺ يذكر مكان الوجهة المتّجه إليها على الحقيقة؛ لأن الكلام إذا ذُكر فلن يخلو الحال من أمرين:

* أن يتكلّم بعض الأصحاب إلى بعض الناس الذين لا ينبغي أن يصل إليهم هذا الكلام.
* أن يكون بعض مَن يسمع من النبي ﷺ مباشرة من المنافقين، وكان بعض المنافقين يخرج مع النبي ﷺ.

---

(١) ورّى بغيرها: سترها وأوهم بذكره أن مراده غيرها.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٧).

الحديث الثالث: عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ ﷺ فِي قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَةِ:

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ [لِقُرَيْشٍ]: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا فُلَانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُدْنَ**[١] **فَابْعَثُوهَا لَهُ**»، فَبُعِثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ[٢] وَأُشْعِرَتْ[٣] فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ[٤].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الموضع من قصة الحديبية عجيب في تنبّه النبي ﷺ لخصائص الناس والقبائل والاعتبارات العُرفية والتاريخية المتعلّقة بكل قبيلة، ثمّ اتّخاذ الأساليب التي تُناسب هذه الأعراف فيما يُحقّق المصلحة الشرعية.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: ما فعله النبي ﷺ في هذا الحديث قد يغفل عنه كثير من المصلحين الذين لا يتعاملون مع الناس بمراعاة الخصائص والإشكالات والبشرية، وإنما يتعاملون مع الناس باعتبار مكوّن الحق فقط، فمن أراد الحق فهو موجود، وإلا فلجنهم سبعة أبواب!.

---

(١) البُدن: الإبل والبقر.

(٢) قُلّدت: تقليد الهدي: أن يُجعل في عنقه ما يُستدلّ به على أنه هدي.

(٣) أُشعرت: أي: فُعلت فيها علامة يُعلم بها أنها هدي.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٣٢).

الحديث الرابع: عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ فِي قِصَّةِ الْهِجْرَةِ: «وَاسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا - الْخِرِّيتُ: الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ يَمِينَ حِلْفٍ[1] فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلَاثٍ، فَارْتَحَلَا وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ الدِّيلِيُّ، فَأَخَذَ بِهِمْ [أَسْفَلَ مَكَّةَ] وَهُوَ طَرِيقُ السَّاحِلِ»[2].

الْفَوَائِدُ:

مرحلة الخروج من مكة إلى المدينة كانت تتطلب الحذر الشديد في الطريق، وقد اختير فيه متقن لهذا التخصص، مع أنه كافر، فاتفق معه النبي ﷺ على أن يكون هو الدليل الذي يسلك بهم الطريق، وهذه لفتة كبيرة في المرتبة العالية التي وصل لها النبي ﷺ من الحذر في اتّخاذ الأسباب في مرحلة تتطلب حذرًا شديدًا.



(١) غمس يمين حلف: أي: حالفهم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٦٣).

الباب السابع عشر:

بَابُ الْعِنَايَةِ بِالشَّبَابِ وَتَقْدِيمِ ذَوِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ، وَتَفْعِيلِ أَدْوَارِهِمْ فِي الْعَمَلِ لِلْإِسْلَامِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الشباب هم من أوائل المستفيدين من وضع متن «المنهاج من ميراث النبوة»، وهم مستهدفون فيه من جانبين:

- الاستقامة والثبات على الدين في ظل الفتن المعاصرة.
- التفعيل الإصلاحي في واقع الأمة الحالي.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: بناء على الفائدة الأولى وُضع هذا الباب من هذا الكتاب، فإن الشباب في زمن النبيّ ﷺ وقبله كانوا محلًا لحمل الدين، والعمل به، والثبات عليه، وللإصلاح.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من أعظم ما نحتاج إليه في زماننا اليوم: استعادة دور الشباب، وأن يُعتنى بهم عناية خاصة، حتى يستمروا ويقوموا بالدور الذي ينبغي أن يكون عليهم.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣][1].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ فِتْيَةٌ -وَهُمُ الشَّبَابُ- وَهُمْ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ وَأَهْدَى لِلسَّبِيلِ مِنَ الشُّيُوخِ الَّذِينَ قَدْ عَتَوْا وعَسَوا فِي دِينِ الْبَاطِلِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُ الْمُسْتَجِيبِينَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ شَبَابًا، وَأَمَّا الْمَشَايِخُ مِنْ قُرَيْشٍ فَعَامَّتُهُمْ بَقُوا عَلَى دِينِهِمْ، وَلَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَهَكَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِتْيَةً شَبَابًا» تفسير القرآن العظيم: (٥/ ١٢٧).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية تدلّ على أن الشباب في مطلع عمرهم قد يكونون قدوة في الدين، وقد يكون لهم شأن في الإسلام.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: المراحل التي يُسعى فيها للانتهاض بالإسلام والمسلمين يجب أن تكون مادة النهضة فيها من الشباب.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

الْفَوَائِدُ:

هذه الآية يجب أن يعتزّ بها الشباب، وأن يجدوا بها أُنسًا ومحفّزًا لهم على الاقتداء بالأنبياء والصالحين ممن كانوا بهذه السن.

الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣].

الْفَوَائِدُ:

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: «والحكمة -والله أعلم- بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه أن الذرية والشباب أقبل للحق وأسرع له انقيادًا، بخلاف الشيوخ ونحوهم ممن تربى على الكفر فإنهم - بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة - أبعد من الحق من غيرهم»[(١)].

(١) تفسير السعدي: (١/ ٣٧١).

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»(١).

الْفَوَائِدُ:

في هذا الحديث دلالة على أن النبي ﷺ لم يكن محاطًا بالشيوخ فقط، وإنما كان مُحاطًا من كلّ الفئات العمرية، فالفتية الصغار الذين قاربوا البلوغ كانوا مع النبي ﷺ، وكانوا محلًا للاهتمام منه، فيعلّمهم الإيمان، ثم يُعلّمهم القرآن، وإذا وسَّعْنا الدائرة قليلًا سنجد من الشباب الصغار مَن شارك معه في مقامات الجهاد، فهذا عُمير بن أبي وقاص ﷺ شارك في غزوة بدر، وكان عمره ستة عشر عامًا، واستشهد فيها ﷺ.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث يُدرك قيمتَه - حقيقة - مَن كان مستحضرًا لأهوال

(١) أخرجه ابن ماجه (٦١).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

يوم القيامة والأحداث التي فيها، وشدّة الحاجة في ذلك اليوم إلى الأمان، ولو أفنى الإنسان عمره ليكون آمنًا في ذلك اليوم؛ فإن هذا مطلب عزيز جدًا.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث بيان أن الشريعة راعت أحوال الشباب؛ لأن شأن الشباب أن تقودهم أهواؤهم لغير عبادة الله.

الحديث الثالث: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: «**أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟**»، فَقَالَ الْغُلَامُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ[1] رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي يَدِهِ[2].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث لا يدلّ على مجرّد قرب الشباب من النبي ﷺ، وإنما يدل كذلك على أن أعمارهم الصغيرة لا تلغي القيمة الاعتبارية لهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: المشهد الذي في الحديث يكفي للدلالة على حضور الغلمان في مدرسة النبي ﷺ، وعلى أنّ لهم مكانة واعتبارًا، ومن عجيب ما يقع من بعض المشتغلين بالجانب التربوي: أنّك تجد أحدَهم لا يأنف من مجالسة الصغار وتعليمهم، لكنّه إذا اكتسب مزيدًا من العلم، أو حصّل شهادة؛ فإنه يزهد في مجالسة الصغار وتعليمهم.

---

(١) فتلّه: ألقاه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٢٠)، ومسلم (٢٠٣٠).

الحديث الرابع: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ**[(١)] **وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**»[(٢)].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث دلالة على أن الشاب قد يُكلّف بمنصب يكون فيه صاحب الكلمة إذا كان أهلًا لذلك.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذا الحديث يدلّ على معرفة النبي ﷺ بأحوال أصحابه ﷺ وإمكاناتهم وقدراتهم، وتقديم كلّ واحد منهم في المجال الذي يُناسبه.

الحديث الخامس: عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَلَا تَحُتُّ وَرَقَهَا**[(٣)]»، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**»، فَلَمَّا خَرَجْتُ مَعَ أَبِي قُلْتُ: يَا أَبَتَاهْ وَقَعَ فِي نَفْسِي النَّخْلَةُ، قَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا؟ لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: مَا مَنَعَنِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَرَكَ وَلَا أَبَا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُمَا فَكَرِهْتُ»[(٤)].

---

(١) كان خليقًا للإمارة: أي: حقيقاً بها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٣٠)، ومسلم (٢٤٢٦).

(٣) لا تحتُّ ورقها: أي: لا يتناثر، ولا يتساقط.

(٤) أخرجه البخاريُّ (٦١٤٤) واللفظ له، ومسلمٌ (٢٨١١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث دلالة على أن مجلس النبي ﷺ كان يحضر فيه الكبار، من أمثال أبي بكر وعمر، والصغارُ سنًا من أمثال عبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: قد يُفتح على بعض الشباب في بعض المسائل ما لا يُفتح على غيرهم.

الحديث السادس: عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: «**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»[1].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث دلالة على انتباه النبي ﷺ لأحوال هؤلاء الشباب؛ لأنه لما ظن اشتياقهم لأهليهم أمرهم بالرجوع، وهذا الظنّ يكون بالقرب منهم ومعرفة أحوالهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: اعتنى النبي ﷺ بهؤلاء الشباب عناية أهّلتهم لأن يكونوا قدوة في الدين، وينقلوا التجربة العلمية والعملية.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الحديث دلالة على أنّه لا يلزم أن يُكمل الإنسان طريق العلم حتى يبدأ بالنفع، فمن الممكن أن ينفع بما يُحسنه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٤٦)، ومسلم (٦٧٤).

الحديث السابع: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(١).

الحديث الثامن: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في قوله: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ» فائدتان:

* أهمية تعليم الفتيان.
* ضرورة اختصاص بعض المتربّين بوصية بناء على ما يراه المربي منه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث دلالة على أنّ أهم مادة ينبغي أن تُقدّم للفتيان هي المادة التي اجتمع فيها أمران:

١- التعريف بالله والحديث عنه. ٢- الحديث عن القلب وعلاقته بالله تعالى.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الحديث الثاني تقريب نفسي لابن عباس ﷺ، وفيه بيان حب رسول الله ﷺ لابن عباس.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: في الحديث أهمية الدعاء لمن تحبه وللمتعلّمين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٥٦).

الحديث التاسع: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا فُلَانُ هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ تَرَى؟!، فَتَرَكَ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ، فَإِنْ كَانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِيهِ وَهُوَ قَائِلٌ[١] فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي[٢] عَلَى بَابِهِ، فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِي التُّرَابَ[٣] فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيَكَ؟ فَأَقُولُ: لَا، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ، فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ، قَالَ: فَبَقِيَ الرَّجُلُ حَتَّى رَآنِي وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ، فَقَالَ: كَانَ هَذَا الْفَتَى أَعْقَلَ مِنِّي»[٤].

الحديث العاشر: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ، قَالَ: وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ؟، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَدْرِي أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾. قَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»[٥].

---

(١) قائل: من القيلولة، وهي: النوم في الظهيرة.

(٢) أتوسد ردائي: أي: أجعل ردائي وسادة تحت رأسي.

(٣) تسفي الريح على وجهي التراب: أي: ذرت التراب أو حملته.

(٤) أخرجه الدارمي (٥٩٠).

(٥) أخرجه البخاري (٤٢٩٤).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الاهتمام والحرص والشغف من ابن عباس ﷺ؛ هو نتيجة العناية النبوية.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث الثاني دلالة على أن المربي قد يسمح للفتيان بالكلام، أو يختبرهم؛ حتى يبيّن أنهم أهل للاهتمام.

الحديث الحادي عشر: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»(١).

الْفَوَائِدُ:

ذَكَر الحافظُ ابن حجر ﷺ أن القراء هم الجامعون بين العلم والعبادة.

الحديث الثاني عشر: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْغِلْمَانَ الْكِتَابَةَ، وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلَاةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ**(٢)، **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»(٣).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث دلالة على عناية الصحابة ﷺ بالصغار.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أوّل من تنبغي العناية به هم الأبناء داخل البيت.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٦).

(٢) أرذل العمر: أردؤه، وهو الهرم.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٢٢).

الباب الثامن عشر:

بَابُ دَوْرِ الْمَرْأَةِ فِي بَثِّ الْعِلْمِ وَنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَفِي عِنَايَتِهَا بِأَبْوَابِ الْخَيْرَاتِ، وَمُسَارَعَتِهَا إِلَى الْعَمَلِ بِهَا

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الباب في قضية المرأة آتٍ في سياق الكتاب، وهو: العناية بالشاب المسلم المسترشد الذي يتطلب الثبات على الدين والعمل لأجله، وليس المقصود من هذا الباب بيان مكانة المرأة في الإسلام، وأنها مكرمة في الإسلام.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذا الباب يأتي ليبرز أن المرأة من جملة المقصودين من هذا الكتاب، وإن كان ما يقع على المرأة من الأدوار التفصيلية مختلف عما يقع على الرجل، وكلاهما مشترك في تحمل المسؤولية المتعلقة بالدين ونصرته.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية تؤسس وتبني كثيرًا من الأواصر بين المؤمنين والمؤمنات، خصوصًا في هذا الزمن الذي ارتفعت فيه الأصوات الداعية للصراع بين الرجل والمرأة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من أوّل ما يدخل في الولاء المذكور في الآية: النصرة والمحبة، ومنسوب النصرة عند المؤمن لا يقل أو يزيد باعتبار أن المنصور ذكر أو أنثى، وإنما الاعتبار يكون بالإيمان؛ فإذا كان مؤمنًا وجبت النصرة.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الآية دلالة على أن من أدوار المرأة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وثمرة هذا: أن المرأة وهي تستحضر الواجبات التي عليها؛ لا تستحضر الواجبات الذاتية اللازمة، وإنما تستحضر كذلك الواجبات المتعدية، مع الأخذ باعتبار أن لها خصائص وطبائع وحدودًا معيّنة.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: لا ينبغي للمرأة أن تحتقر نفسها، فإنها قد تكون مثلًا وقدوة للمؤمنين.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الإسلام لم يجعل المرأة خارجة عن أن تكون محلًّا للشرف والمكانة والقدوة للمؤمنين.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «**مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ**». فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: «**وَاثْنَتَيْنِ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث دلالة على حضور المرأة في سيرة النبي ﷺ، وعلى حرص الصحابيات ﷺ على أخذ النصيب العلمي والإيماني والتوجيهي من النبي ﷺ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من الأمور الملاحظة في الخطاب النبوي للنساء: الوعظ، فكان النبي ﷺ يعظ النساء، وهذا يؤسس للدعاة المقتدين بالنبي ﷺ أن الوعظ من أهم ما ينبغي أن تُخاطب به المرأة.

الحديث الثاني: عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: عائشة ﷺ كانت هي حاملة لواء العلم بالنسبة للجانب النِّسائي في زمن النبي ﷺ وبعده.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١)، ومسلم (٢٦٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٣٣٤).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: عند المطالبة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لا شكّ أن للمرأة خصائص تختلف فيها عن الرجل، فليس كلّ ما يُطلب من الرجل يُطلب من المرأة، لكنهما يشتركان في الأساس.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: هناك بعض الصفات التي تزداد عند المرأة قد يُظنّ أنّها مانع من تحقيق الدرجات العليا في أكثر من باب، لكن هذا الحديث يأتي ليبيّن أن «الحياء» صفة أساسية في المرأة، لكنّه لا ينبغي أن يمنعها من التفقّه في الدين.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: السؤال هو الصورة الأساسية للتفقه في الحديث المذكور.

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: «مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: وَعَتْ عائشةُ ﷺ عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، وهذا العلم لم يكن بمجرّد أنّها كانت تعيش في بيت النبوة، وإنما كانت منها أفعال تزيد من هذا العلم، منها:

- التنبّه واليقظة لأفعال النبي ﷺ.
- السؤال والاستفسار.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: توفي النبي ﷺ عن عائشة ﷺ وكان عمرها في حدود الثامنة عشرة، وهذا يدلّ على أمرين:

- أنّ عائشة ﷺ كانت ذكية ونبيهة ووقّادة الذهن.
- أنه لا ينبغي أن يُستهان بالفتيات اللاتي في هذا السن، فقد يكون منهنّ مَن عندها قدرة على التعلّم والجمع وحفظ الدين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٨٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: إذا ذُكرت السنة النبوية والمكثرون من روايتها؛ فإن عائشة ﵂ من أبرز المكثرين، والذين تلقّوا العلم عنها ليسوا النساء فقط، وإنما الرجال كذلك، وهم صنفان:

* مَن هم مِن قرابتها ومحارمها، ومن أبرزهم: عروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وهما من أئمة الإسلام، وعائشة من أبرز ما ساهم في تكوينهما العلمي.
* مَن لم يكونوا مِن قرابتها ومحارمها، ومن أبرزهم: «أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف»، و«الأسود بن يزيد»، و«علقمة بن قيس»، و«مسروق بن الأجدع».

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: حقٌّ على الدعاة والمصلحين أن يبرزوا أنموذج عائشة ﵂؛ ليلفتوا انتباه النساء لوجود نماذج صالحة حققت مراتب عالية في العلم والفقه في الدين، وحريٌّ بالمرأة المسلمة أن تحصّل شيئًا مما كُنَّ عليه.

الحديث الرابع: عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ ﵂ قَالَتْ: «كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَسْقِي الْقَوْمَ وَنَخْدُمُهُمْ وَنَرُدُّ الْجَرْحَى وَالْقَتْلَى إِلَى الْـمَدِينَةِ»(١).

الحديث الخامس: عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ ﵂ قَالَتْ: «غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ وَأُدَاوِي الْجَرْحَى وَأَقُومُ عَلَى الْـمَرْضَى»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: القوة الجسدية هي من أبرز الفروق بين الرجل والمرأة، ومع ذلك لم يكن هذا مانعًا مما يُمكنها أن تقوم به في باب الجهاد، وإلا فالأصل أن الشريعة قد فرّقت في الحكم بين الرجل والمرأة في باب الجهاد في سبيل الله.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨١٢).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: اليوم هناك قضايا مختلفة في الأمة الإسلامية تحتاج إلى مشاركة بالتوعية، ونصرة قضايا الأمّة بما يمكن، فلا يصح أن تلغي المرأة دورها في هذه النصرة.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: الأعمال التي قامت بها الصحابيات رضي الله عنهن تدل على وجود أحكام خاصّة بالمرأة، فالنساء لا يُطالبن بما يُطالب به الرجال، لكنّهنّ يُشاركن بما تُمكن المشاركة به.

الحديث السادس: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها فِي قِصَّةِ الْهِجْرَةِ قَالَتْ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ(١) قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِالثَّمَنِ**»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجَهَازِ(٢) وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ(٣)، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا(٤) فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ؛ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقِ(٥).

---

(١) نحر الظهيرة: مبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع.

(٢) أحث الجهاز: أعجله.

(٣) الجراب: الوعاء من الجلد.

(٤) نطاقها: النطاق: أن تلبس المرأة ثوبها، ثمّ تشدّ وسطها بشيء، وترفع وسط ثوبها، وتُرسله على الأسفل عند معاناة الأشغال؛ لئلا تعثر في ذيلها.

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٠٥).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الدور الذي قامت به أسماء رضي الله عنها أضاف معرّفًا لهُويتها الشخصية، فهُويتها على مر التاريخ «ذات النطاقين»، وهذا كان بسبب دور قامت به في نصرة الإسلام.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذا النوع من المشاركة من أسماء رضي الله عنها إنما يأتي من الحرص الشديد، فعندما تكون روح البذل والنصرة والتضحية هي المسيطرة على المسلمين؛ تظهر مثل هذه التفاصيل.

الحديث السابع: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ فَيَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّى صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ قَامَ فَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي مُصَلَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِبَعْثٍ ذَكَرَهُ لِلنَّاسِ أَوْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بِغَيْرِ ذَلِكَ أَمَرَهُمْ بِهَا، وَكَانَ يَقُولُ: «**تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا**»، وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ[1].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث يبيّن جانبًا من جوانب الخير والمشاركة من المرأة في العبادات التي من شأنها التضافر والتعاون بين المؤمنين وسدّ الحاجة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: ينبغي دائمًا عند التصدّق استحضار أمرين:

* استحضار سدّ الاحتياج، فيتصدّق الإنسان ليسدّ الحاجة تعاطفًا ورحمةً بالمحتاجين والفقراء.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٨٩).

* استحضار احتياج المتصدق للصدقة؛ لينجو من عذاب الله تعالى، فالصدقة تدفع عن الإنسان عذابَ النار، وفي حث النبي ﷺ النساء على الصدقة كان يُركّز على جانب الاستحضار الثاني، وهذا من المعاني التي تنبغي العناية بها.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: حالة الاستجابة وسرعة الامتثال ينبغي أن يتم إحياؤها عند المؤمنين والمؤمنات.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: هذه الأحاديث والآيات المذكورة في الباب مما تُقاوم به الموجات النسوية وأمثالها التي تجعل المرأة تنظر بعين الحقوق فقط، فإن هذا من أسوأ ما قد تُبتلى به المرأة، أن تعيش في حياتها ولا ترى إلّا أنّها مظلومة، نعم؛ هناك حالات قد سُلّط فيها سيف الظلم على المرأة فهذا شيء آخر، لكنّ من الطبائع غير الجيدة التي توجد عند المرأة أنها ترى أنها تستحق فقط، وأنها لا تُعطي إلا أن تُعطى، ولا تبذل إلّا أن يُبذل لها، والمرأة التي تنظر بهذه النظرة هي من أكثر النساء قبولًا للتأثر بشبهات النسوية، والمطلوب من المرأة أن تنظر بعينين:

الأولى: عين تنظر بها على واجباتها ومسؤولياتها وعلى عِظم ما ينبغي أن تعيش عليه من العبودية لله والتقرّب إليه سبحانه، ونصرة الإسلام والمسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما يُمكن، ويدخل كذلك هنا: الواجبات الأسرية والزوجية.

الثانية: عين تنظر بها إلى ما ينبغي من أن تُكرم به وتأخذه، وأن تكون محلًا للمراعاة؛ لكونها في جانب الضعف.

والإشكال في إهمال العين الأولى، والنظر بالثانية فقط، والنسوية هي أكثر رافد يمكن أن يغذّي هذه النظرة.

الحديث الثامن: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْـمُؤْمِنِينَ ﵂ قَالَتِ: «اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: «**جِهَادُكُنَّ الْـحَجُّ**»[١].

الحديث التاسع: عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**وَالْـمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**»[٢].

* ❁ *

(١) أخرجه البخاري (٢٨٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

الباب التاسع عشر:

بَابٌ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ وَالْحَذَرِ مِنَ الِانْتِكَاسِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا المطلب من أهمّ المطالب الإيمانية بالنسبة للمؤمن، وهناك أمران ينبغي أن يشغلا تفكيرَ المؤمن دائمًا:

- الاهتداء إلى الحق.
- الثبات على ما هُدي إليه من الطريق.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: عدم حضور قضية الثبات والحذر من الانتكاس عند المؤمن من أسباب الانتكاس.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: حضور قضية الثبات والحذر من الانتكاس من القضايا التي كانت تشغل الصالحين.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى:

الدعاء الذي في الآية من دعاء الراسخين في العلم، مما يدل على أنّ الراسخين في العلم يعنيهم ويقلقهم شأن الثبات.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: نحن اليوم بحاجة للحديث عن «الثبات» لأسباب متعددة، منها:

* فتن الشهوات التي لا حصر لها، والتي تكاد أن تكون غير مسبوقة بتاريخ البشرية.
* فتن الشبهات التي اتّسعت وكثُرت مصادرُها.
* فتن الابتلاءات والمصاعب التي تواجه المتمسك بهذا الدين ويدعو إليه.
* النوازع التي من داخل النفس، والتي تدعو الإنسان لعدم الثبات.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا[1] فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية مخيفة؛ لأنها تدلّ على أنّ الإنسان لا يأمن من أن يُسلب نعمة الإيمان، وإن وصل إلى مقام عالٍ في الشريعة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الانتكاس ليس قرارًا اختياريًا بالضرورة، فقد يكون أمرًا يخلقه الله في قلب العبد نتيجة مقدمات عملها العبد، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من أعظم أسباب انتكاس المصلح:

١- الإخلاد إلى الأرض.

٢- اتّباع الهوى.

---

(١) فانسلخ منها: خرج منها بكفره.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ (١) وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذه الآية ذِكْرٌ من الله تعالى لثلّة من عباده المؤمنين الذين ثبتوا حينما جاءت الفتن العظيمة الكبيرة متمثّلة بالأحزاب الذين حاصروا المدينة، وهذا الحصار كان سببًا لظهور نفاق بعض المنافقين؛ لأنّ الجبن والخوف من صفاتهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هؤلاء الثابتون الذين خلّد الله ذكرهم في القرآن؛ لم ينتهِ إمكان الاقتداء بهم، وأن يكون المؤمن عند الله بمكان بسبب ثباته.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: الثبات على الدين من أهم صور الشكر لله تعالى، وشاهد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

---

(١) قضى نحبه: وفَّى بنذره.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ**[١]**، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**»[٢].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث يُعيد بيان وتعريف أهمية الثبات والخوف من الضلال في قلب الإنسان المؤمن.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: ينبغي على المؤمن أن يقتدي بالنبي ﷺ في دعائه هذا، وأن يكون موضوع «الثبات» مستحضرًا بشكل دائم عند المؤمن.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من أكبر الإشكالات التي قد يُصاب بها الإنسان أن يظنّ أنّه أخذ ضمانًا بعدم الانتكاس إذا سلك طريق العلم والدعوة.

---

(١) بك خاصمت: أي: بك أحتجُّ وأدافع وأقاتل، وقيل: خاصمت بما أعطيتني من البرهان وبما لقنتني من الحجة.

(٢) أخرجه البخاريُّ (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).

الحديث الثاني: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ(١)، وَكَآبَةِ الْـمُنْقَلَبِ(٢)، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْـمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْـمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْـمَالِ»(٣).

وفسَّرَ الترمذيُّ وغيرُهُ «الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ» بالرجوع من الإيمان إلى الكفر أو من الطاعة إلى المعصية.

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الاستعاذة النبوية من الحور بعد الكور من أبواب الاهتمام النبوي بالثبات على الدين، والحذر من الانتكاس.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: المثال المذكور عن الانتكاس فيه تبشيع له، فحقيقة الانتكاس أنه فساد بعد صلاح، ونقص بعد كمال، وتفرّق بعد اجتماع.

الحديث الثالث: عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ وَذَكَرَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدَّجَّالِ، وَفِيهِ: «**فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ(٤) فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا(٥)، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**»(٦).

---

(١) وعثاء السفر: شدته ومشقته وتعبه.

(٢) كآبة المنقلب: أن ينقلب إلى أهله كئيبًا حزينًا.

(٣) أخرجه مسلم (١٣٤٣).

(٤) خارج خلة بين الشأم والعراق: أي: في طريق واقع بين الشأم والعراق.

(٥) فعاث يمينًا وعاث شمالًا: أفسد يمينًا وشمالًا، أو اشتد وأسرع في الفساد.

(٦) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: أمام كلّ فتنة تعتري طريقنا ينبغي أن نتذكر النداء النبوي المذكور في الحديث: «**يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**».

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: القرآن الكريم من أهم أسباب الثبات والعصمة من الفتن، والتعلق بالقرآن تلاوة ومعايشة وتدبّرًا من أهمّ ما يغذّي قلب الإنسان المؤمن ليكون قلبًا ممتلئًا بالإيمان واليقين؛ فيكون مستغنيًا عن دواعي الانتكاس.

الحديث الرابع: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**»[(١)].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: مما يجعل الإنسان يتواضع إدراكه أن قلبه ليس بيده، وإنما الإيمان هبة إلهية، يبذل الإنسان الأسباب رجاء أن يكرمه الله بها، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الدعاء من أهم وسائل الثبات، والإنسان يدعو بذلك إذا كانت قضية الثبات مقلقة له، وإذا كان خائفًا من الانتكاس، وهذا الخوف هو الذي يؤزّ الإنسان على العمل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

الحديث الخامس: عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: ليس المطلوب من الإنسان مجرّد تأدية العبادة فقط، وإنما هو مُطالب بالوصول إلى حلاوة الإيمان، ثم ليكن همّه المحافظة على حلاوة الإيمان.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: طعم «حلاوة الإيمان» لا يُشبه طعم الملذّات الدنيوية الحسّية، هذا الطعم لا يتصوّره بشكل كافٍ مَن لم يعش هذه الحلاوة.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في هذا الحديث بيان لبعض وسائل حلاوة الإيمان، وهي:

- أن يكون الله ورسوله أحبّ للعبد مما سواهما.
- أن يحب العبدُ المرءَ، لا يُحبّه إلّا لله.
- أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار.

والوسيلتان الأخيرتان من مقتضى ولوازم الأولى.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: الشأن الذي ينبغي أن يشغل الإنسان هو التفكير في كيفية الوصول لأن يكون الله ورسوله ﷺ أحبّ إليه مما سواهما، ثم البحث عن حقيقة هذه المحبة، أهي مجرّد شعور قلبي لا يُصدّق بأمور عملية؟ أم هي محبة مقترنة بلوازم عملية؟ الناظر في كتاب الله يجد أن المحبة إذا ذُكرت تُذكر معها لوازم معيّنة من العمل، وهذا العمل غالبًا ما يكون فيه تضحية بمحبوبات أخرى.

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

الحديث السادس: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث من أركان الاستقامة، وقد قيل لسيّد من سادات المسلمين، وقد قيل لمن شُهد له بأنّه يُحبّ اللهَ ورسولَه، ويُحبّه اللهُ ورسوله ﷺ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: قول النبي ﷺ: «**اذْكُرْ**» فيه إرشاد للاستحضار أثناء الدعاء، وهذا الاستحضار من أهم وسائل استجابة الدعاء.

❊ ❁ ❊

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٥).

الباب العشرون:

بَابٌ فِي الْحَثِّ عَلَى الِاعْتِدَالِ فِي الدِّينِ وَالتَّيْسِيرِ فِيهِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْغُلُوِّ والتَّشْدِيدِ عَلَى النَّفْسِ أَوِ الْغَيْرِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الباب من محاسن الدين من وجهين:

* باعتبار اليسر.
* ما في هذا الدين من الربّانية، ووجه ذلك: أن هذا الدين جاء بمرحلة مليئة بالظلمات والكفر والشرك، وكانت هناك مرحلة إقبال عظيمة جدًا ممّن دخل في هذا الدين، ومن محاسن هذا الدين أنّه جعل حالة الإقبال منظّمة؛ لأن هذا الإقبال إذا زاد عن حدّه سيأتي بنتائج عكسية، ومثل هذا الموضوع يدركه البشر - عادةً - بعد تجارب طويلة، لكن من ربانية هذا الدين أنّه جاء من بدايته بالحثّ على الاعتدال.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الغلوّ صورٌ متنوعة، منها:

* الغلوّ في الأشخاص، وهو غلو مذموم، والأشخاص الذين يغلو الناس فيهم عادة يكونون ممّن يُعتقد فيهم الصلاح وأنّهم وسيلة إلى الله تعالى، وأكثر مَن يمكن أن تعتقد الأمة فيه ذلك من حيث التصوّر العقلي هو النبي ﷺ، لكن يأتي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ محذّرًا من الغلو في شخصه: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[1].

---

(١) رواه البخاري: (٣٤٤٥).

* الغلوّ المتعلّق بالعبادة، وله بابان:

أحدهما: الاستكثار الزائد عن الحد منها، والذي يعود على النفس بعد ذلك بالفتور.

والآخر: في منع النفس عمّا أباحه الله تعالى.

* الغلوّ في الحكم على الآخرين.
* الغلو في التشديد على الآخرين.

الآيات

الآية الأولى:

قَالَ اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

الْفَوَائِدُ:

أهل الكتاب كان غلوّهم في شيئين:

١ - الأشخاص. ٢ - العبادة، وذلك من جهة المنع.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْ[1]﴾

[هود: ١١٢].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية فيها خطاب فيه أمر للنبي ﷺ بالاستقامة كما أمر، فاللهُ تعالى أمر بالاستقامة، وحدّ طريق الاستقامة، فالذي ينبغي على الإنسان أن يستقيم على طريق الله بنور من الله تعالى.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: مِن المفسرين مَن فسّر «الطغيان» بمجاوزة الحدّ من جهة الغلوّ.

(١) لا تطغوا: لا تتجاوزوا حدود الله.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**[١]**، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»[٢].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: غريب الكلمات:

الغدوة: السير في أوّل النهار.

الروحة: السير في آخر النهار.

الدُّلجة: السير في آخر الليل.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذا الحديث يبيّن قاعدة كبرى، وهي أنّ الدين يسر، وأنّه لا يُغلب، فمهما أردت أن تصل فيه إلى مرحلة تظنّ فيها أنك انتهيت فيها من أمر الدين؛ لن تستطيع.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: بما أن العبد لن يستطيع أن يُشادّ هذا الدين؛ فالمطلوب منه:

- أن يُصيب فيما يتعبّد لله به، وهذا الصواب لا يكون إلا بالعلم.
- أن ما لا نستطيع فيه الصواب دائمًا فلنقارب الصواب.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: الغدوة والروحة تكون في أوقات النشاط، والدلجة يكون الوقت

---

(١) لن يشاد الدين أحد إلا غلبه: أي: لن يغالب الدين أحد ويكلّف نفسه من العبادة فيه فوق طاقته؛ إلا غلبه الدين.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩).

فيها وقت راحة، وحال المؤمن في السير إلى الله تعالى ينبغي أن يكون باستثمار أوقات النشاط والإقبال في عمل الواجبات الأساسية والتمسّك بها ثم بأخذ حظٍّ من الكمال من القيام في الليل، أو في الأوقات التي يُمكن أن تُقتنص من أوقات الراحة.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا**»(١).

الْفَوَائِدُ:

أكّد النبي ﷺ وشدّد على قضية «الأخوّة بين المؤمنين»، وهذا المعنى مؤكّد في كتاب الله تعالى، وهو من محكمات الشريعة، ومن الأمور العظيمة التي جاء الحثّ عليها من أوّل الإسلام، ولعظمة هذا الباب في الدين جاء إطلاق وصف «الكفر» على مَن خالف فيه المخالفة الكبيرة، قال رسول الله ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(٢)، وقال ﷺ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(٣)، وليس المُراد بـ«الكفر» هنا الكفر المخرج من الملة، وإنما هو كفر دون كفر.

الحديث الثالث: عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ هَذِهِ؟**»، قُلْتُ: فُلَانَةُ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، فَذُكِرَ مِنْ صَلَاتِهَا، فَقَالَ: «**مَهْ**(٤)، **عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري: (٤٨)، ومسلم: (٦٤).

(٣) رواه البخاري: (٦٨٦٨).

(٤) مَهْ: كلمة زجر.

(٥) أخرجه البخاري (١١٥١)، ومسلم (٧٨٥).

الْفَوَائِدُ:

هذا الحديث عجيب من وجوه، منها:

* نهي النبي ﷺ عن هذه الصورة من العبادة، مع أن المُحب للدين في بادئ الرأي قد يستحسنها.
* نهي النبي ﷺ عن هذا في مرحلة النبوة عجيب، نعم؛ لو أنّه جاء بعد تجربة طويلة من العبّاد ثم رأوا أنها تؤول بالإنسان إلى الانقطاع؛ فإن هذا مفهوم، لكن هذا النهي جاء من رسول الله ﷺ في مرحلة النبوة، وهذا مما يؤكد ربّانية هذا الدين.

الحديث الرابع: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ[١] إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[٢].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث قانون عظيم في اتّباع النبيّ ﷺ، ففيه بيان أن الشأن كلّ الشأن في اتّباع النبي ﷺ، وليس في كثرة العبادة.

---

(١) الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: قياس الأمور القلبية المتعلّقة بالخشية من الله ومحبّته بناء على محض الكثرة التعبدية قياس خاطئ.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: لو لم يأتِ الدين بتهذيب النفوس من حيث الزيادة التعبّدية لوجدنا الصحابة مذاهب شتّى، لكنّ النبي ﷺ كان يزكّيهم.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: تنقسم حالات الناس من حيث الإقبال على الدين والإعراض عنه إلى قسمين:

* قسم المقبلين على الدين، ومن أعظم ما يُخاف على المقبلين من الفتن: فتنة «الغلو»، ففي هذه الحال ينبغي أن تكون مركزية الخطاب في الحديث عن التوازن.
* قسم المعرضين، وفي هذه الحال ينبغي أن تكون مركزية الخطاب في الحديث في تليين القلوب واستصلاح النفوس للتمسّك بالعبادة.

وفي زماننا هذا نحن بحاجة إلى الخطابين، وذلك بحسب المُخاطَب.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: هذا الحديث في بيان بركة النبي ﷺ وفضل اتّباعه.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: في الحديث تحذير لمن رغب عن سنة النبي ﷺ، والرغبة عن السنة تشمل جهتين:

* الزهد في السنة وعدم التمسك بها.
* السير على السنة إلى درجة معيّنة، ثم الزيادة عليها بما ليس منها.

فكلا الطرفين راغب، إما بإفراط أو بتفريط، والقسطاس المستقيم في موافقة هدي النبي ﷺ.

الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: من أعظم أسباب رضوان الله: موافقة هدي النبي ﷺ، وهذه الموافقة لا تكون إلا بالعلم، وعليه؛ فإن من أعظم بركات العلم: القدرة على موافقة

الهدي النبوي، وهذا يوجّه النفس لأبواب من العلم، فالعلم بسنة النبي ﷺ من أشرف أبواب العلم، ومَن رام العلم بالسنة النبوية فإن لها بابين كبيرين:

* باب تفصيلي، وهو المذكور في كتب الحديث.
* باب إجمالي، وهو المذكور في كتب السير والمغازي.

الحديث الخامس: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ[١] وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «**هَاتِ الْقُطْ لِي**»، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ[٢]، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: «**بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»[٣].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذا الحديث طلب النبي ﷺ من ابن عباس رضي الله عنهما أن يلتقط له حصيات ليرمي الجمرات، فلقط له ابن عباس حصيات صغيرات، فأرشد النبيُّ ﷺ ابنَ عباس وغيره أن هذه الحصيات الصغيرات تؤدي غرض العبادة، ولا داعي للإتيان بحجارة كبيرة، فهذا الحد المقتصد يؤدي الغرض.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث بيان خطورة الغلو، وأنه سبب للهلاك.

---

(١) غداة العقبة: أي: صباح رمي جمرة العقبة، وهو صباح يوم النحر.

(٢) حصى الخذف: أن يجعل الإنسان الحصاة بين السبابة من اليمنى والإبهام من اليسرى ثم يقذفها بالسبابة من اليمنى.

(٣) أخرجه النَّسائي (٣٠٥٧).

الحديث السادس: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ. فَقَالَ: «**وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «**دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**(١)**، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ**(٢) **كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**(٣)»(٤).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في الحديث إخبار من النبي ﷺ عن أمور من الغيب ستحصل، ثم حصلت كما أخبر؛ لذلك فإن العلماء يذكرون هذا الحديث في دلائل النبوة، وهو من أصح الأحاديث، وورد بطرق كثيرة صحيحة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في هذا الحديث كشف عن بعض النفسيات المتشددة، فهناك رابط معين من الممكن أن يجمع النفوس المتشددة، وهو أن صاحب هذه النفسية المتشددة يجمع بين أمرين:

* أمر يتعلّق بنفسه، وهو: مجاوزة الحدّ بها عما هي عليه.

---

(١) لا يجاوز تراقيهم: أي: ليس لهم فيه حظ إلا مروره على لسانهم لا يصل إلى حلوقهم، فضلًا عن أن يصل إلى قلوبهم.

(٢) يمرقون من الدين: يخرجون منه.

(٣) يمرق السهم من الرمية: أي: ينفصل السهم من الرمية إذا أنفذها.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

* أمر يتعلّق بغيره، وهو: التقليل من شأن غيره، وإنزاله عمّا هو عليه.

وفي هذا الحديث المذكور ظن هذا القائل للنبي ﷺ أنّه محقق لأمر التقوى إلى أعلى درجة، ثم قلّل من شأن غيره، وهذا شأن الخوارج دائمًا، فهو لا يستطيع أن يبصر حسنات غيره إذا لم يوافقه في الجزئية التي يؤمن بها.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من سمات الخوارج:

* الجرأة على الحدود الدينية المحكمة، والتي منها: «عصمة دم المسلم وماله وعرضه»، و«الأخوة بين المؤمنين»، و«الجرأة على التكفير».
* عدم أخذ سنة النبي ﷺ بشمولية.
* عدم النظر الشمولي للفقه في الدين؛ لذلك تجدهم ينتقون آيات معيّنة يبنون عليها فقههم دون غيرها.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: مما يدل على اعتدال أهل العلم: أنّهم لم يكفروا الخوارج مع كثرة النصوص الواردة فيهم من الوعيد، فما بالنا بأناس لم ترد فيهم نصوص كهذه، ووقعوا بمسائل حصل فيها التباس وخطأ، وتقليد لأناس من أهل العلم لكنهم أخطؤوا في مسائل، ثم يأتي مَن يكفّرهم؟!.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: العلاقة مع القرآن لا ينبغي أن تكون أيّ علاقة، وإنما العلاقة الأساسية التي ينبغي أن تكون هي «الاهتداء» من الجهة العلمية والعملية؛ لأن من أهم أسباب العصمة من الضلال: حُسن الأخذ للقرآن.

قال عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما:«لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَنَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ،

ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «المطلوب من القرآن: هو فهم معانيه والعملُ به، فإن لم تكن هذه همّة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين»[٢].

وهذه المسألة من الأمور المركزية في الإصلاح اليوم، فمن أعظم الأعمال التي ينبغي أن يقوم بها المصلحون اليوم: إعادة تعريف العلاقة بالقرآن بحيث يكون تعريفًا صحيحًا، وأن تكون طبيعة العلاقة مع القرآن طبيعة محكومة بطبيعة العلاقة التي كانت في زمن النبي ﷺ.

الحديث السابع: عَنِ الْأَزْرَقِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: كُنَّا بِالْأَهْوَازِ نُقَاتِلُ الْحَرُورِيَّةَ[٣]، فَبَيْنَا أَنَا عَلَى جُرُفِ نَهَرٍ[٤] إِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي وَإِذَا لِجَامُ دَابَّتِهِ بِيَدِهِ، فَجَعَلَتِ الدَّابَّةُ تُنَازِعُهُ وَجَعَلَ يَتْبَعُهَا - قَالَ شُعْبَةُ: هُوَ أَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ -، فَجَعَلَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ افْعَلْ بِهَذَا الشَّيْخِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ الشَّيْخُ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ قَوْلَكُمْ، وَإِنِّي غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِتَّ غَزَوَاتٍ أَوْ سَبْعَ غَزَوَاتٍ وَثَمَانِيَ وَشَهِدْتُ تَيْسِيرَهُ، وَإِنِّي إِنْ كُنْتُ أَنْ أُرَاجِعَ مَعَ دَابَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدَعَهَا تَرْجِعُ إِلَى مَأْلَفِهَا[٥] فَيَشُقُّ عَلَيَّ[٦].

---

(١) رواه الحاكم (١٠١) في «المستدرك»، والبيهقي (٥٣٥٥)، واللفظ له.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٥٥).

(٣) الحرورية: طائفة من الخوارج ابتدأ خروجها من قرية حروراء في العراق.

(٤) جُرُف نهر: هو المكان الذي أكله السيل.

(٥) مألفها: الموضع الذي ألفته واعتادته.

(٦) أخرجه البخاري (١٢١١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: لم يكن عند أبي برزة رضي الله عنه نص مباشر عن النبي ﷺ في منازعة الدابة للعبد أثناء الصلاة، لكنّه شهد الهدي العام للنبيِّ ﷺ ، وأخذ منه مظلّة التيسير، وهنا الفرق بين الفقيه وغيره، فهو وإن لم يكن عنده نص لكنّه فهم ذلك من التيسير المأخوذ من الهدي الشمولي للنبي ﷺ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الموازنة التي فعلها أبو برزة رضي الله عنه ونحوها؛ قد تدخل في عقل كلّ أحد، إلا أصحاب الغلوّ، فهم أبعد الناس عن الموازنة بين دفع شرّ الشرّين، ونحو ذلك من الموازنات.

الحديث الثامن: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**»(١).

الحديث التاسع: عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذان الحديثان من الأحاديث التي تبيّن شيئًا من المنهج الدعوي الإصلاحي.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذه الوصايا المذكورة في الحديث مهمة لكلّ من يريد أن يكون وارثًا للنبي ﷺ ولو في أبواب معيّنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: الروح التي ينبغي أن تُصاحب أثناء دعوة الناس هي روح التيسير، وهذا التيسير يكون - في الأساس - متوجّهًا لِمَا لم يَرِدْ فيه نصّ.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: التبشير وتحبيب الدين للنفوس من مقاصد الدين العظيمة، والعمل الذي يؤدّي للتنفير من أعظم ما حرّمته الشريعة.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: الحديث عن الجنة والنار، والرحمة والعذاب، والثواب والعقاب كلّه من الدين، وليس من التنفير، والتنفير قد يكون باختيار أشياء من الدين في غير مقامها، فيكون الشخص بهذا منفّرًا؛ وإن كان الذي فعله من الدين.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: «**تَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**» عنوان من العناوين الكبرى بالنسبة للمجال الإصلاحي الذي يضمّ أكثر من عامل، وهذا «التطاوع» لا يعني - ضرورةً - توحّد الرأي، وإنما يشمل حالة من التنازل وعدم الإصرار على ما قد يكون سببًا في الخلاف.

الحديث العاشر: عَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ**»[(١)].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث يؤكد المعنى المركزي الذي سيق هذا الباب لأجله، وهو: التيسير على المسلمين، وعدم التشديد عليهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: قد يدخل في المعنى الشمولي للحديث: مَن حرّم على المسلمين أشياء لم تحرّم عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٩)، ومسلم (٢٣٥٨)، واللفظ له.

الحديث الحادي عشر: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ لِي: «**أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟**»، فَقُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: «**فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ**»، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**[1]، **وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**»، قال: «**فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ؟ قَالَ: «**كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا**»، قال: «**وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**»، قالَ: قُلتُ: يا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِن ذلك، قالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**»، قَالَ: فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قَالَ: وَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرٌ**». قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ»[2].

---

(١) ولزورك عليه حقًا: أي: لضيفك.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، واللفظ له.

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث فيه تربية من النبي ﷺ لأصحابه، وقد حصل تقصير في هذه التربية من بعض الآخذين بميراث النبوة في بعض المراحل من هذه الأمة، بل حتى في زماننا هذا، فهناك نقص في كون العالم مربيًا، ومما يُعين على أن يكون العالم مربيًا: استحضار معنى الوراثة النبوية، قال العلّامة الشاطبي رحمه الله: «المنتصب للناس في بيان الدين؛ منتصب لهم بقوله وفعله، فإنه وارث النبي، والنبي كان مبيّنًا بقوله وفعله؛ فكذلك الوارث لا بد أن يقوم مقام الموروث؛ وإلا لم يكن وارثًا على الحقيقة»[1].

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: التربية لا تكون بمجرد إلقاء الدروس وخطب الجمعة، وإنما تكون كذلك بمثل هذه المواقف، والحاجة ماسّة على مرّ الأعصار للقيام بنفس الدور والاقتداء بالدور التربوي من أهل العلم.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الحديث استحسان للمداومة على الفعل وإن قلّ، والمداومة على العمل مركزية في فقه العبادة في الإسلام، ومن يفقهها ويوفّق للحفاظ عليها؛ فقد أخذ بأمر وثيق في الدين.



(١) الموافقات: (٤/ ٨٧).

الباب الحادي والعشرون:

بَابٌ فِي مَرْكَزِيَّةِ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الباب لا يقتصر على بيان فضل حُسن الخلق، والبر والإحسان، وإنما هو في بيان مركزية هذه الأشياء في حياة الإنسان المسلم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: مَن يقرأ في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ متأمّلًا متدبّرًا مستنبطًا جامعًا بين النصوص الجزئية للخروج بمقاصد كليّة سيجد أن باب حسن الخلق وما يتبعه من البر والصلة والإحسان باب عظيم من أبواب الإسلام، فالتخلّق بأخلاق الإسلام وخصاله ليس بابًا تكميليًا كما يظن بعض الناس، وإنما هو باب أصلي مركزي أساسي مقصود لذاته.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

الْفَوَائِدُ:

هذه الآية تبيّن قيمة هذه الأعمال من جهة أن الله يأمر بها، والصيغة الواردة في الآية ليست مما تكرر كثيرًا في القرآن، وهي صيغة فيها تعظيم لما هو مأمور به، كذلك فإن خاتمة هذه الآية تبيّن مزيدًا من قيمة ما ورد في الآية من الأوامر والنواهي.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

الْفَوَائِدُ:

في الآية ذكر لجوامع الدين، وذكر منها الإيتاء لذي القربى، والإحسان للخلق، والوفاء بالعهد، وكلها من حسن الخلق.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، فَقَالَ: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

هذا الحديث عظيم في بيان مركزية حُسن الخلق، خاصّة وأن السؤال عن «البرّ» في مقابل «الإثم»، فتعريف البرّ بحُسن الخلق مما يُبيّن قيمة حُسن الخلق ومركزيّته في الإسلام.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

الحديث الثاني: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ ﷺ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ؟ قَالَ: «**خُلُقٌ حَسَنٌ**»(١).

الحديث الثالث: عنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْـمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**»(٢).

الحديث الرابع: عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْـمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْـمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»(٣).

الْفَوَائِدُ:

علاقة هذا الحديث بالباب: أن السلامة من اللسان واليد باب أخلاقي، وقد رُبط هذا الفعل باسم الإسلام مما يُبين عظيم قيمته ومركزيته، ومَن لم يسلم المسلمون من لسانه ويده فقد أخل بأمر عظيم من أمور الإسلام.

الحديث الخامس: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: «لَـمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي. فَانْطَلَقَ الْأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ»(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٤٣٦)، وأحمد (١٨٤٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٦١).

الحديث السادس: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي قِصَّةِ هِرَقْلَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ يَسْأَلُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ»(١).

الحديث السابع: عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَآءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ(٢)، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ**»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللهُ**»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «**حُرٌّ وَعَبْدٌ**»(٣).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذه الأحاديث ثلاثة مواقف لثلاثة لم يكونوا على الدين، وقد خلُص لهم الخطاب النبوي بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد لخّصوا الرسالة النبوية بهذه المفاهيم التي ذُكرت، والتي منها: مكارم الأخلاق.

---

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) جرآء عليه قومه: من الجرأة، وهي: الإقدام والتسلط.

(٣) أخرجه مسلم (٨٣٢).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: طلاب العلم هم أولى الناس بالتخلّق بالأخلاق الإسلامية، وهم أولى الناس بتعظيم باب الأخلاق، وقد اعتنى علماء المسلمين بهذا الباب واهتمّوا به، وكانوا يضمّونه لعلوم الشريعة، ويُفردونه بالتأليف كذلك، وعليه؛ فإن من يزهد من طلبة العلم بهذا الباب، أو يُقلّل من قيمته، أو لا يعتبره الباب المُعظّم؛ فإنه يُناقض الفقه في الدين.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: يزداد التأكيد على أهمية حُسن الخلق في زماننا، والناظر في أوساط طلبة العلم يُدرك الضرورة القصوى لهذا الأمر.



الباب الثاني والعشرون:

بَابٌ فِي مَفَاتِيحِ الْهِدَايَةِ وَالْبَصِيرَةِ
وَدَوَامِ احْتِيَاجِ الْمُسْلِمِ إِلَى الْهِدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الباب من الأبواب المهمة للسالك إلى الله، في أوّل الطريق، وأواسطه وآخره.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من الأمور الفارقة بين ذوي الدرجات العليا في الإسلام ومَن دونهم: إدراكهم لمركزية باب الهداية في الإسلام، ومن يستطع أن يدرك أن الهداية من أعظم ما يتطلبه الإنسان في كل يوم تفتح له أبواب من الخير لا تُفتح لمن لا يستحضر هذا المطلب.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: المطلوب من الإنسان تجاه هذا الباب أمران:

- إدراك أهمية هذا الباب.
- البحث عن المفاتيح الموصلة للهداية.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

الْفَوَائِدُ:

الاعتصام بالله من مفاتيح الهداية، وهو الالتجاء إلى الله، والاحتماء به، وأساس الاعتصام إنما يكون في القلب، والاعتصام لا يكون إلا بتمام التوحيد، فحين يتمّ التوحيد في قلب الإنسان، ويعظّم الله حقّ التعظيم، فيحتمي به ويلتجئ إليه، ويستعين به، هذا التحقيق القلبي لمعنى الالتجاء إلى الله تعالى من أعظم ما يجعل الله به الهداية في القلب.

الآية الثانية والثالثة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

الْفَوَائِدُ:

الإنابة: دوام الرجوع إلى الله تعالى والإقبال عليه، فهي تتضمن معنى الرجوع، وتوحيد الوجهة والقصد، وهي عمل قلبي، وهي صفة دافعة إلى الخير، وهي واسعة لا تقتصر على عودة العبد إذا أذنب، وإنما فيها معنى الرجوع الدائم والإقبال على الله، ومن ثمرات الإنابة: تحقيق الهداية، فهي من مفاتيح الهداية.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: المجاهدة في الله ولله من مفاتيح الهداية، وهي تشمل مجاهدة النفس، والشيطان، وقواطع الطريق من شياطين الإنس والجن وما في الواقع من فتن وأهواء.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: مَن كان يعيش في هذه الحال من المجاهدة فليبشر بأمرين:

- أنّه اتّخذ جُنّة ووقاية ممّا يُجاهد.
- الهداية الإلهية.

والمجاهدة تكون في بداية أمرها صعبة وفيها شدة، فإذا نزلت الهداية على القلب؛ سيجد أنّ هذه المجاهدة قد سهلت عليه.

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ (١) أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

الْفَوَائِدُ:

هذه الآية تدلّ على أن اتّباع النبي ﷺ عصمة، وسبب من أسباب البصيرة.

---

(١) على بصيرة: أي: على يقين وحجة واضحة.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: أهمية مطلب الهداية، فرسول الله ﷺ أوصى عليًا ﷺ بالدعاء بالهداية، وهو الذي له شأنه، وله باع في نصرة النبي ﷺ، ومع ذلك تكون الوصية له بأن يدعو هذا الدعاء.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الدعاء بالهداية من أعظم أسباب تحصيلها.

الحديث الثاني: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى**»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث فيه دلالة على أن النبي ﷺ كان من شأنه الدعاء بالهداية.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أدعية الأنبياء باب عظيم من أبواب العلم بالله تعالى، ومن أبواب الهداية.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢١).

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ ﷻ أَنَّهُ قَالَ:

«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»[(١)].

الحديث الرابع: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ: **«اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ أَنْتَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»**[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧٠)، وأبو داود (٧٦٧)، واللفظ له.

الحديث الخامس: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا[١] وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ،وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي». وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ». وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ[٢]، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ». ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[٣].

---

(١) حنيفًا: مائلًا عن الباطل.

(٢) شق سمعه وبصره: أي: خلق فيه السمع والبصر.

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: النبي ﷺ مع أنه الهادي إلى الخير، ومع أنه يوحى إليه؛ إلّا أنّه كان يستحضر احتياجه للهداية الإلهية فيدعو بالهداية.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الهداية لا تنحصر في انتقال الإنسان من الضلالة إلى الهداية، وإنما تكون في كلّ شيء، ومن صور ذلك:

- الهداية إلى الإيمان.
- الهداية من طرق الذنوب والمعاصي إلى طريق الاستقامة على أمر الله تعالى.
- الهداية بالثبات على الإيمان والطاعة.
- الهداية في الأمور الملتبسة.
- الهداية إلى باب الأخلاق والسلوك.
- الهداية إلى أفضل الخير.
- الهداية إلى طرق الإصلاح والنفع للمسلمين.

الحديث السادس: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ وَامْرَأَةٍ مِنْ قَيْسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُمَا سَمِعَا النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ أَحَدُهُمَا: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَخَطَئِي وَعَمْدِي**». وَقَالَ الْآخَرُ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَسْتَهْدِيكَ لِأَرْشَدِ أَمْرِي**[١] **وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي**»[٢].

الْفَوَائِدُ:

هذا الحديث يدل على أهمية طلب الهداية لأرشد الأمر، فقد كان هذا من دعاء النبيّ ﷺ، وإذا كان هذا حال النبيّ ﷺ في طلب الهداية فغيره من باب أولى.

---

(١) أستهديك لأرشد أمري: أي: اهدني لما فيه صلاح واستقامة شأني.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٢٦٩).

الباب الثالث والعشرون:

بَابٌ فِي أَهَمِّيَّةِ الصُّحْبَةِ الصَّالِحَةِ، وَفَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ، وَخُطُورَةِ التَّفَرُّقِ وَالتَّنَازُعِ وَاخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الباب من الأبواب التي تعظُم الحاجة إليها عند المسلمين عامة، وطلاب العلم والدعاة والمصلحين خاصّة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذا الباب لأهميته لنا أن نقول: إنّه من مركزيات الشريعة، وما موقف المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في أوّل الهجرة إلّا شاهد على هذا المعنى.

الآيات

الآية الأولى والثانية والثالثة والرابعة:

قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال جلّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآيات في إثبات قيمة وأهمية التعاون بين المؤمنين والتآلف بينهم، سواء كان ذلك لتحقيق معنى الثبات والاستقامة، أو لتحقيق معنى نصرة الدين.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أهمية التعاون والتآلف بين المؤمنين من المعاني المحكمة في الدين، ومن الأمور المركزية التي جاءت بها الشريعة.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: إذا تأملنا في واقعنا اليوم سنجد نقصًا كبيرًا في العناية بهذا الباب، حتى إن مشكلة «التفرق والتنازع» تعدّ من المشكلات الكبرى على مستوى الأمة الإسلامية، لذلك فمن أهم الواجبات الإصلاحية: «تحقيق الألفة بين المؤمنين» ولا شكّ أن في هذا الأمر صعوبة كبيرة، لذلك لا يُتطلب فيه الكمال.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**»(١).

الْفَوَائِدُ:

هذا الحديث فيه اثنان مكلّفان بعمل إصلاحي من النبيّ ﷺ، وكان من جملة ما أوصاهم به: أن يتطاوعا ولا يختلفا، وهذا منهاج ينبغي أن يكون لكل العاملين في المجال الإصلاحي، وهو يكون في حدود ما يرضي الله تعالى من المباحات، ومن الحظوظ الشخصية، وقد يدخل في ذلك بعض الأمور الاجتهادية، ولما عدد أصحاب عبد الله بن المبارك خصاله ذكروا منها: «وقلة الخلاف على أصحابه»(٢).

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

الْفَوَائِدُ:

في هذا الحديث إقامة لقضية الولاء والتناصر تحت اسم «الإيمان»، فكلّ من كان داخلًا تحت مسمى الإيمان؛ فإنّه يكون داخلًا تحت هذا الحديث، فمن أهم مقتضيات الإيمان: وجود التناصر بين المؤمنين، وتزداد أهمية هذا الفعل إذا وُجد جزء من البناء على وشك السقوط، فهنا ينبغي للقائم على البنيان أن يُقرّب بين لبناته.

الحديث الثالث: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ**[1]، **وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: من القواعد الكبرى أن «**الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ**» ثم إن هذه الأخوة لها لوازم ذُكرت في هذا الحديث.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: مما يدخل في قوله: «**يُسْلِمُهُ**»: أنّه لا يُسلم أخاه لعدوّه، ولا يتركه صيدًا سهلًا، بل يدافع عنه وينصره إذا اقتضى الحال ذلك.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: الجزاء من جنس العمل، فيأتي الإحسان إليك من الرحمن بقدر إحسانك إلى الإخوان.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: مَن تأمل في هذا النص ونحوه؛ أدرك أهمية وعظمة هذا الباب في الدين.

---

(١) لا يُسلمه: لا يلقيه في الهلكة، ويحميه من عدوّه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

الحديث الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا[١]، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا[٢]، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا** -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ-، **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[٣].

الْفَوَائِدُ:

من هذه الأحاديث ونحوها يُعلم الشر الكبير في الاتّجاهات التي اتّخذت من الطعن في المسلمين مشروعًا لها، والذي ينبغي أن نسير على وجهة يكون فيها تحقيق الولاء للمؤمنين، والنصيحة لهم، والرحمة بهم، والأمر بالمعروف، وتصحيح الأخطاء التي ينبغي أن يكون عنوانها الأساسي «تطلّب الهداية»، ولا إشكال من وجود التحذير، لكن لا ينبغي أن يكون هذا المشروع الأوّل.

---

(١) لا تناجشوا: لا يُنافر بعضكم بعضًا؛ بأن يعامله من القول بما ينفّره. وقيل في النجش: أن يزيد في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها؛ ليقع غيره فيها.

(٢) لا تدابروا: أي: لا تفعلوا فعل المتباغضين اللذين يدبر كل واحد منهما عن الآخر.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٤٠)، ومسلم (٢٥٦٤)، واللفظ له.

الحديث الخامس: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»(١).

الحديث السادس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ(٢) بَيْنَكُمْ**»(٣).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: قوله: «**لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا**» يدلّ على تعلّق قضية الأخوّة بالعقيدة؛ لأنها صارت متعلّقة بالإيمان.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث ذِكر وسيلة من وسائل المحبة، وهي: إفشاء السلام.

الحديث السابع: عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا(٤) وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠).

(٢) أفشوا السلام: أظهروه وأكثروه.

(٣) أخرجه مسلم (٥٤).

(٤) براق الثنايا: أبيض الثنايا.

هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ(١) وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ للهِ، فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: آللهِ، فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: آللهِ، فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: آللهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي(٢) فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ(٣) وَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ ﷻ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ(٤)»(٥).

الحديث الثامن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»(٦).

الحديث التاسع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ(٧) مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا(٨)؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»(٩).

---

(١) سبقني بالتهجير: أي: التبكير إلى كلّ صلاة.

(٢) حبوة ردائي: أي: مجتمع ثوبه الذي يحتبي به، وملتقى طرفيه في صدره.

(٣) جبذني إليه: جذبني إليه.

(٤) المتباذلين فيّ: أي: يبذل كل واحد منهم لصاحبه نفسه في الله.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢٧٤٤).

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٦٦).

(٧) مدرجته: قارعة طريقه.

(٨) نعمة تربها: أي: تقوم بها، وتصلحها، فتتعاهده بسببها.

(٩) أخرجه مسلم (٢٥٦٧).

الحديث العاشر: عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

هذه الأحاديث عظيمة في ذكر فضل وثواب الأخوّة والمحبّة في الله، فمن هذا الفضل:

- أن يظلّ اللهُ العبدَ في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه.
- أنها من أسباب محبة الله للعبد.
- أنها من أسباب حلاوة الإيمان.

وبعد هذا الفضل كلّه ويلٌ لمن يستهتر بهذا الباب، لا سيّما في هذا الزمان الذي استُضعفت الأمّة فيه من كلّ مكان، فهنا يتضاعف إثم الاستهتار بهذا الباب.

الحديث الحادي عشر: عَنْ جَرِيرٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «**اسْتَنْصِتِ النَّاسَ(٢)**»، فَقَالَ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(٣).

الْفَوَائِدُ:

في الحديث إطلاق وصف «الكفر» على نوع من أنواع المخالفة لهذا الباب، ولولا عِظم هذا الفعل لَمَا وُصف بأنّه «كفر»، نعم؛ هو كفر دون كفر، لكن لولا خطورة هذا الباب لَمَا وُصف بهذا الوصف.

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٢) استنصت الناس: أي: اطلب منهم السكوت.

(٣) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

الباب الرابع والعشرون:

بَابٌ فِي الْحَذَرِ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَا يُخْشَى عَلَى الصَّالِحِينَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا

الْفَوَائِدُ:

في هذا الباب إشارة إلى أنّ الفتن لا تختصّ بأهل الفساد، وإنّما الصالحون يُفتنون، فدخول العبد في طريق الاستقامة لا يعني أنه قد ضمن الوصول؛ لأن من شأن طريق الاستقامة أنّه طريق فيه الفتن والابتلاءات والتحدّيات.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ(١) ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

الْفَوَائِدُ:

معنى الآية: أنّ الله لم يكن ليترك المجتمع المؤمن دون اختبار وابتلاء حقيقي يميّز المؤمن من المنافق، وعليه؛ فإذا وُجد أُناس مؤمنون يسيرون في طريق الاستقامة ويعملون لهذا الدين، وينصرون الله ورسوله ﷺ، وكان فيهم مَن هو خبيث ومنافق؛ فليتهيّأ المؤمنون للفتن التي تنخلهم؛ فيسقط الخبيث، ويبقى الطيب، وهذا يكون خاصة إذا وصل المؤمنون لمرحلة يريدون بها الخير والرفعة ونصرة الإسلام والمسلمين.

---

(١) ليذر: ليدع.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ [الأنفال: ٢٥].

الْفَوَائِدُ:

في هذه الآية تحذير للمؤمنين غير الظالمين من فتنة تعمّ الذين ظلموا أنفسهم، وغيرَهم، وتوارد غير واحد من المفسرين على أنّ السبب هنا: تعميم الظلم، مع عدم إنكاره وتغييره، فإذا عمّ الظلم ولم يُنكر ويُغيّر؛ فلتُتقَ فتنة عامة يُراد بها العقاب.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

الْفَوَائِدُ:

إذا ادّعى شخص أنه مؤمن بلسان حاله أو مقاله، وأنه يسير على مراد الله تعالى وسنة نبيه ﷺ فليبشر بالخير والرحمة والسكينة والطمأنينة، وليتهيَّأ للاختبار، وهذا الاختبار يكون بالرخاء كما يكون بالشدة، قال سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ[١] وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ[٢] وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ[٣] إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا[٤]، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ**»[٥].

---

(١) يصلح خباءه: الخباء: ما يُعمل من وبر، أو صوف، وقد يكون من شَعر.

(٢) ينتضل: أي: يرمي بالسهام تدربًا ومداومة.

(٣) من هو في جشره: أي: في إخراج الدواب إلى المرعى.

(٤) فيرقق بعضها بعضاً: أي: أن الثاني منها يجعل الأول خفيفًا لعظمه.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

الحديث الثاني: عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ قَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(١).

الحديث الثالث: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ**(٢)، **وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ**(٣) **إِلَى الْجُحْفَةِ**(٤)، **إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**». قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ(٥).

الحديث الرابع: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟**»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ**(٦)»(٧).

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١).

(٢) إني فرطكم على الحوض: أي: سابقكم عليه.

(٣) أيلة: مدينة على ساحل البحر بين المدينة ودمشق ومصر.

(٤) الجحفة: موضع بين مكة والمدينة.

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٤٢)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٦) فتجعلون بعضهم على رقاب بعض: أي: تولّون بعضهم على بعض حتى يذلّوهم ويظلموهم.

(٧) أخرجه مسلم (٢٩٦٢).

الحديث الخامس: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ**»، قِيلَ: وَمَا بَرَكَاتُ الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**زَهْرَةُ الدُّنْيَا**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الأحاديث يجمعها جامع مشترك وهو حرص النبي ﷺ على أمّته وتحذيره إيّاهم من الفتن، وتنبيهه إياهم مبكّرًا لأنواع من الفتن ستعترض طريقهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذه الفتن التي حُذّر منها وقع شيء منها في زمن الصحابة رضي الله عنهم، وشيء لم يقع إلّا بعدهم، وشيء لم يقع إلا في زماننا هذا.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: مجموع هذه الأحاديث يلفت الانتباه لعدّة أمور:

- خطورة أمر الفتن.
- اهتمام النبي ﷺ بشأن الأمة.
- أن سلوك طريق الاستقامة وحده لا يكفي، بل ينبغي التنبه مع سلوكه إلى العوائق التي تعترض هذا الطريق.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: ذكر الفتن من الأمور المهمة في الثبات على الطريق، فالثبات لا يكون إلا بإدراك وقوع الفتن والاستعداد لها بالخوف والمحاذرة.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: الابتلاءات التي تعرض للسالك إلى الله متنوعة ومختلفة، فشيء منها في الأمراض، وشيء في تسلط الأعداء، وشيء في المال والخير، غير أنّ من أشدّ ما خافه النبي ﷺ على أمّته: «فتنة الدنيا».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٧)، ومسلم (١٠٥٢).

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: إذا رأيت شبابًا حريصين على العلم ونفع الإسلام والمسلمين ثم وجدت لديهم نقصًا في أمور الدنيا؛ فلا تحزن عليهم، واعلم أنّهم فقدوا عنصرًا من عناصر التفرّق.

الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: قد يصبر الصالحون على الشدائد والمصاعب لكنّهم قد لا يصبرون على النِّعَم والرَّخاء.

الحديث السادس: عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟، قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ، قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا[١] كَالْكُوزِ[٢] مُجَخِّيًا[٣] لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ[٤]**»[٥].

(١) أسود مربادًا: أي: شدة البياض في سواد.

(٢) الكوز: إناء بعروة يُشرب فيه الماء.

(٣) مجخيًا: مقلوبًا.

(٤) ما أُشرب من هواه: أي: ما تهواه نفسه بغير إذن شرعي.

(٥) أخرجه مسلم (١٤٤).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الصالحون وإن كانوا في منزلة عمر تقلقهم الفتن وتشغل بالهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الفتن التي تقع في القلوب تقع بشكل تراكمي، وليس على صورة واحدة؛ لذلك قد يبدأ الإنسان ببعض الفتن ويظنّ أنه يملك أمره؛ فيتشرّب فتنة على إثر فتنة حتى يصل إلى مرحلة لا يملك فيها قراره، وقد كان يملكه.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من أعظم أسباب نور القلب: تجاوز الفتن وعدم الوقوع فيها.

الحديث السابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(١).

الحديث الثامن: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﷺ قَالَتِ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ! أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ(٢) فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ**»(٣).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: تنبغي المبادرة بالأعمال في وقت الرخاء والعافية لأمرين:

* لأنّ هذه الأعمال لها أثر في الوقاية من الفتن حينما تأتي.
* لأن حين الفتن قد لا يُتاح للإنسان العمل.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨).

(٢) صواحبات الحجر: أي: زوجات النبيّ ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (١١٥).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: «قيام الليل» من أهم الأعمال التي ينبغي المبادرة إليها لاجتناب الفتن.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: مَن لم يكن له رصيد من العمل والاستقامة قد تأتي عليه أيام من الفتن يتقلّب فيها تقلّبًا سريعًا، حتى إنّ دينه الذي هو أثمن ما يملكه يبيعه بعرَضٍ من الدنيا.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: الفتن التي تنزل إنما هي من أقدار الله تعالى.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: ينبغي الحرص على الأهل كما فعل النبي ﷺ.

الحديث التاسع: عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ، قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ، فَقَالَ: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟**»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟**»، قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**»، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ[1].

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث يبين شدّة حرص النبي ﷺ في بيانه لأمّته الأمور التي من الممكن أن يزلّوا بسببها.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الاستعاذة بالله من وسائل اتّقاء الفتن.

الحديث العاشر: عَنْ مَعْقِلِ بنِ يَسَارٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الهرج: اختلاط الأحوال بالفتن والقتل.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في هذا الحديث يبيّن النبي ﷺ أن العبادة في حال الهرج كهجرة إليه؛ لأن تلك الأوقات ليست أوقات عبادة لعامة الناس، فالذي يستطيع المواظبة على العبادة في تلك الحال يكون أجره عند الله عظيمًا.

* ❁ *

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).

الباب الخامس والعشرون:

بَابٌ فِي فَهْمِ أَسْبَابِ ضَعْفِ الْمُسْلِمِينَ وَاخْتِلَالِ أَحْوَالِهِمْ، وَإِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الباب مهم جدًا بالنسبة لموضوع الكتاب؛ لأنه قد اختيرت أحاديثه وآياته لتكون نبراسًا ومنهاجًا للشاب المسلم الذي يريد أن يثبت على دينه وينفع أمّته، ويطمح أن يكون مصلحًا، فمن المهمات لمن يريد أن يكون مصلحًا أن يعرف شيئًا من أسباب ضعف المسلمين.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: مع الحاجة الماسّة للمصلح بأن يعرف أسباب ضعف المسلمين نجد أن النبي ﷺ لكمال رحمته وشفقته وحرصه وبيانه بيّن لأمّته خير ما يعلمه لهم، وحذّرهم شرّ ما يعلمه لهم.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

[آل عمران: ١٦٥].

الْفَوَائِدُ:

في المصائب التي أتت من الخارج يريد الله تعالى منّا أن نلتفت للأسباب الداخلية لها، ونحن اليوم في واقعنا نواجه مشكلات كثيرة متنوعة جاءتنا من أعداء المسلمين في الخارج

ومن المنافقين، لكن لا ينبغي أن نضع أعباء المشكلة كلّها على هؤلاء، وإنّما من المهمّ أن نفتّش في النقص والخلل الذي فينا متسائلين: هل أدّينا الدور الحقيقي الذي علينا؟ وهل قمنا بمسؤولية الإصلاح وإنكار المنكر؟ هل قمنا بمسؤولية اجتماع الكلمة؟.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ﴾

[الرعد: ١١].

الْفَوَائِدُ:

الله تعالى لا يغيّر على أمّة من الأمم حال العافية والرخاء الذي هم فيه إلى نقيض ذلك من شتات الحال، والخوف بعد الأمن والتمزّق إلا إذا كان هناك شيء من داخل هؤلاء الناس قد غيّروه، فإذا كنا ننظر في أسباب ضعف المسلمين فينبغي أن ننظر في أنفسنا وأحوالنا.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**[١]»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ**[٢]، **وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[٣].

وهذا الحديث من أعجب الأحاديث وأدقها في وصف مشكلة الأمة الإسلامية اليوم.

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث عجيب في بيان حال الأمة الإسلامية اليوم، ومطابق لما نحن فيه من الإشكال، فهو يتحدّث عن حالة تتداعى فيها الأمم على أمّة الإسلام، وهذا التداعي فيه من الاستهانة بأمّة الإسلام ما يجعلهم كأنما يتداعون إلى قصعة يأكلون ما فيها من خيرات.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في هذا الحديث جمع بين أمرين:

* المشكلة الخارجية.
* السبب الداخلي الذي لأجله ترسّخت المشكلة الخارجية.

---

(١) قصعتها: القصعة: وعاء يؤكل فيه.

(٢) غثاء السيل: ما يجيء فوق السيل مما يحتمله من الزبد والوسخ وغيره.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧).

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: يتحدّث النبي ﷺ عن زمان نحن أولى مَن يدخل فيه، وأولى مَن يصدق عليه أنه داخل فيمن تحدّث عنهم النبي ﷺ.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: ما ذُكر من نزع المهابة من صدور أعدائنا بخلاف ما كان في زمن النبي ﷺ الذي كان يُنصر بالرعب.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: إذا تثاقل المسلمون إلى الأرض، ورضوا بأن يتعلّقوا بشيء من زُخرف الحياة، ولا يكونوا على استعداد للبذل والتضحية والتخلّي عن المكتسبات في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين؛ فاعلم أن في هذه الحال يتسلط أعداءُ الإسلام عليهم، أما إذا تسلّطوا عليهم وقلوبهم قد استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة، وامتلأت قلوبهم حبًا لله ورسوله ﷺ وأمة الإسلام؛ فإن أعداء الإسلام وإن تسلطوا وبثّوا ما بثّوا من السموم؛ فإنهم سيواجهون بنيانًا مرصوصًا يواجه مثل هذه الفتن.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: نحن اليوم في أمسّ الحاجة لإعادة المعنى والهُوية والقيمة، وتثبيت مرجعية الوحي، وتثبيت الإيمان في النفوس، وإعادة بناء وصياغة الشخصية المسلمة من جديد؛ لأن هذا بإذن الله سيكون سببًا لإعادة بناء قوام الأمة الإسلامية.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ: يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**»، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»(١).

وأخرجه أحمدُ كذلك من حديث أنس بن مالك ﷺ(٢)، وفيه: «**إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ...**».

وأخرجه الْبَزَّارُ(٣) من حديث عوف بن مالك ﷺ، وفيه: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ...**».

وهذا الحديث مروي من وجوه متعددة لعله يقوى بها ويرقى للقبول إن شاء الله.

وهو كذلك من الأحاديث العجيبة في وصف شيء من مشكلة الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم.

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: عند قراءة هذا الحديث يتخايل أمام أعيننا صور التافهين الذين تصدّروا في كثير من المجتمعات والوسائل، وصاروا هم مَن يرسم المعايير، ويتّخذ القرار، يضعون للناس معايير في غاية التفاهة والانحطاط، وتبدّل المعاني، فيُصدّق الكاذب، ويُكذّب الصادق، ويؤتمن الخائن، ويُخوّن الأمين، وليس هناك قطع بأن هذا الحديث يتنزّل على زماننا، لكن المتأمّل البصير يرى مقدار التطابق الكبير بين ما ورد في هذا الحديث وزماننا.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (٧٩١٢).

(٢) أحمد (١٣٢٩٨).

(٣) البزّار (٢٧٤٠).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: مما نخرج به من هذا الحديث: أنه ينبغي على الإنسان أن يأخذ الحذر والحيطة، ولا يغترّ بانتشار بعض المفاهيم، وتكالب كثير من الناس عليها؛ لأن النبي ﷺ يحذّرنا من انقلاب المعايير، وقد سبق الكلام في هذا الكتاب عن أهميّة ضبط المعايير عبر مرجعية الوحي؛ لأنّ الإنسان متى ما فقد المرجعية الحقيقية التي يستطيع من خلالها ضبط المعايير ومحاكمة الأشياء؛ فإنّه سيكون عرضة لاختلال المعايير والتأثّر كلّما كان هناك طرف آخر أعلى صوتًا.

الحديث الثالث: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ**(١) **وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذا الحديث تحذير من الركون إلى الدنيا والاستغراق فيها، والتعلّق القلبي بها.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث ذكر النبي ﷺ صورة من صور البيع وهي: «العينة» وهو بيع يظهر فيه شدة الحرص على المال، وصورتها: أن يبيع رجل رجلًا سلعة بثمن مؤجّل، ثم يشتريها منه معجّلة بثمن أقلّ، فالسلعة وسيط لا معنى له، وهي بذلك قريبة من صور الربا.

---

(١) أخذتم أذناب البقر: أي: اشتغلتم بالزرع عن الجهاد.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢).

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: لا يُفهم من الحديث ذمّ الاشتغال بالزراعة، لكنّ الذمّ يقع على مَن كان هذا همه الوحيد الذي يشغل كلّ تفكيره، ويرضى به غير ملتفت لغيره، وكأنّه هو الأولى بالنسبة لغيره؛ لذلك نجد أن النبي ﷺ أتبع ذلك بذكر ترك الجهاد، فهناك ركون إلى الدنيا، مع ترك البذل والتضحية في سبيل الله، وإذا اجتمع هذا في الأمة فإن الله يُسلّط عليها ذلًّا لا ينزعه حتى يرجع الناس إلى دينهم.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: مهما كانت هناك أسباب خارجية في ضعف الأمة، إلا أن هناك أسبابًا تعود إلى أنفسنا، وتعلّقنا بالدنيا وحبنا لها ورضانا بها.



الباب السادس والعشرون:

بَابٌ فِي السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ وَأَهَمِّيَّةِ مُوَافَقَتِهَا فِي الْإِصْلَاحِ وَإِقَامَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ النَّاسِ وَدَعْوَتِهِمْ

الْفَوَائِدُ:

اشتركت الآيات الثلاث الأولى من هذا الباب في الحديث عن سنّة الله في «إهلاك المكذّبين والظالمين»، وقد ذُكر فيها صنفان من الناس، وهم: «المنافقون»، و«المكذّبون والمعرضون».

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية تتحدث عن المنافقين؛ وقد جاءت في سورة الأحزاب بعد قول الله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾، وتدل هذه الآية على أن المنافقين إذا لم ينتهوا عما يقومون به من الأذى؛ فإنّ الله سيسلّط نبيّه ﷺ عليهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: اختلف المفسرون على قولين في عدم تحقق ما وقع في هذه الآية:

* أنهم رجعوا إلى كتمانهم وإسرارهم وانتهوا، وهذا أرجح من الثاني، وهو قول قتادة رحمه الله.
* أن إخلاف الوعيد جائز من باب الكرم الإلهي.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: «أي: هذهِ سنَّتُهُ في الـمنافقينَ إذا تمرَّدوا عَلَى نفاقِهم وكفرِهم ولم يرجعوا عمَّا هم فيه؛ أنَّ أهلَ الإيمانِ يسلَّطونَ عليهم ويقهرونَهم»[1].

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ على قولين:

* أي: من أعداء النبيّ ﷺ الذين سلطّه الله عليهم، وانتصر عليهم في بدر، وسلّطه على يهود بني قريظة، فكما فعل ذلك في هؤلاء؛ فإنّ من سنة الله أن يسلّطه على هؤلاء المنافقين.
* أي: من الأمم السابقة؛ فسنّة الله أنه يسلّط أولياءه على أعدائه في مثل هذه الأحوال.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٨٣).

الْفَوَائِدُ:

هذه الآية جاءت في سورة فاطر في سياق الحديث عن المستكبرين والماكرين السوء، فالله يُخبر نبيّه أن سنّته فيمن جاءته البينات والحجج ورفضها وكذّب أن يُنزل بهم بأسه ويهلكهم، فهل ينظر هؤلاء إلا أن ينزل بهم كما نزل بالأولين؟.

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا[1] سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية تدلّ على أنّ من سنة الله: أنّ الظالمين لا ينفعهم إيمانهم حين يرون البأس.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: ويمكن تقسيم إهلاك الله للظالمين إلى نوعين:

الأول: إهلاك بخرق العادة في السنن الكونية؛ كما حصل في إهلاك قوم نوح عليه السلام.

الثاني: إهلاك الظالمين بتسليط المؤمنين عليهم.

فالنوع الأول من الآيات الظاهرة، والثاني من الآيات الخفية التي تأتي ضمن سياق التدافع بين الحق والباطل، والتوبة لا تقبل من الظالمين حين ينزل بهم البأس؛ إذا كان البأس من النوع الأول، أما إذا كان من النوع الثاني؛ فإن التوبة تُقبل[2]،

---

(١) بأسنا: عقابنا.

(٢) يُنظر تفسير الآية من «التحرير والتنوير» لابن عاشور.

وسبب ذلك: أنّ الأوّل لا تُترك معه فرصة لإحسان العمل؛ لأنه إهلاك تامّ، والسنن الإلهية التي ذكر الله في كتابه أنّها ستقع لنبيّه محمد ﷺ فيما يتعلق بإهلاك الظالمين إنما هي من النوع الثاني.

الآية الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

الْفَوَائِدُ:

قال أبو جعفر الطبري: يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾، مضت وسلفت منِّي فيمن كان قبلكم يا معشر أصحاب محمد وأهل الإيمان به من نحو قوم عاد وثمود وقوم هود وقوم لوط وغيرهم من سلاف الأمم قبلكم سنن، يعني: مَثُلات سِيرَ بها فيهم وفيمن كذَّبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم، بإمهالي أهلَ التكذيب بهم واستدراجي إياهم حتى بلغ الكتاب فيهم أجله الذي أجَّلته لإدالة أنبيائهم وأهل الإيمان بهم عليهم، ثم أحللت بهم عقوبتي وأنزلتُ بساحتهم نِقْمِي فتركتهم لمن بعدهم أمثالا وعبرًا ﴿ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾، يقول: فسيروا - أيها الظانّون أنّ إدالتي مَنْ أدلت من أهل الشرك يوم أحُد على محمد وأصحابه لغير استدراج مني لمن أشرك بي وكفرَ برسلي وخالف أمري - في ديار الأمم الذين كانوا قبلكم ممن كان على مثل الذي عليه هؤلاء المكذبون برسولي والجاحدون وحدانيتي، فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائي وما الذي آل إليه غِبُّ خلافهم أمري وإنكارهم وحدانيتي فتعلموا عند ذلك أنّ إدالتي من أدلت من المشركين على نبيي محمد وأصحابه بأحد

إنما هي استدراج وإمهال ليبلغ الكتاب أجله الذي أجلت لهم، ثم إما أن يؤول حالهم إلى مثل ما آل إليه حال الأمم الذين سلفوا قبلهم: من تعجيل العقوبة عليهم أو ينيبوا إلى طاعتي واتباع رسولي»[(١)].

الآية الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ [القمر: ٤٣].

الْفَوَائِدُ:

هذه الآية جاءت في سورة القمر بعد أن ذكر اللهُ إهلاك قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، ثم فرعون، ثم جاءت الآية: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، وكان ذلك يوم بدر، فهؤلاء الكفار ليسوا بخير من أولئكم ولن ينجو من سنن الله تعالى.

الآية السادسة والسابعة والثامنة:

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

---

(١) تفسير الطبري: (٦/ ٧٠ – ٧١).

الْفَوَائِدُ:

الله تعالى يؤكد لنا في كتابه أن ما أجراه على الأمم السابقة ليس مختصًّا بهم، وإنما هو متعلّق بالله تعالى، وبقانونه الذي يُجريه على الخلق، وقد أكّد اللهُ في مواضع من كتابه أن قانونه هذا لن يتبدل، وكان الله بهذه الآيات يُثبّت نبيّه ﷺ والمؤمنين.

قال ابن عاشور في تفسير الآية: «ويجوزُ أن تكونَ كلماتُ اللهِ ما كتبهُ في أزلِهِ وقدَّرَهُ من سننِهِ في الأممِ، أي أنَّ إهلاكَ المكذِّبينَ يقعُ كما وقعَ إهلاكُ مَن قَبْلَهم»[(١)].

الآية التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

(١) التحرير والتنوير (٧/ ٢٠٢).

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ[١] حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: «﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾» [هود: ١٠٢][٢].

الحديث الثاني: عَنْ عَائِشَةَ ﷺ فِي حَدِيثِ نُزُولِ الْوَحْيِ: قَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ[٣].

الحديث الثالث: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي قِصَّةِ هِرَقْلَ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ حِينَ قَالَ هِرَقْلُ لَهُ: وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالًا[٤] يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ[٥].

الْفَوَائِدُ:

هذا النص من هرقل لا شك أن عليه أنوارًا من ميراث الأنبياء السابقين، وفيه ذكر لسنتين:

* سنة الابتلاء، وهذا يذكرنا بقول ورقة بن نوفل لنبيّنا ﷺ في بداية بعثته حين قال له: «لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ».
* سنة النصر للمؤمنين، وأن العاقبة لهم.

---

(١) ليملي للظالم: أي: يمهله.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٤) سجالًا: أي: نوبة لنا، ونوبة له.

(٥) أخرجه البخاري (٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٣).

الحديث الرابع: عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً[١] لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ[٢] مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[٣].

وقدْ كانتْ سيرةُ النبيِّ ﷺ كُلُّهَا موافِقةً لِلسننِ الإلهيَّةِ في الدعوةِ وإقامةِ الحجةِ ومدافعةِ الباطلِ والابتلاءِ والصبرِ على أذى الكفارِ، ثُمَّ جهادِهم ثُمَّ إهلاكِهم حتى جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ.

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث يدلّ على أن سنة الابتلاء ماضية على المؤمنين في هذه الأمة وفي الأمم قبلها.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: التعرف على أخبار الماضين وما مر بهم من الشدائد من أعظم ما يعين الإنسان على التصبر.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: العجيب أن هذا التبشير جاء في ذروة وقت الأزمة واشتدادها على المسلمين.

---

(١) متوسد بردة له: أي: اتخذ البردة وسادة له، والبردة: كساء مخطط.

(٢) يمشط بأمشاط الحديد: أي: يسرح جلده بأمشاط الحديد.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٢).

الباب السابع والعشرون:

بَابٌ فِي حُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَالتَّمْكِينِ بَعْدَ الْبَلَاءِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: من المهم للإنسان المؤمن السائر في طريق الإصلاح وتبليغ دين الله، ومواجهة أعداء الله، أن يتصوّر المفاهيم المتعلّقة بسنّة الله في أوليائه الذين يحملون هذا الدين ويبلّغونه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذا الباب متّصل اتّصالًا وثيقًا بالسنن الإلهية، التي من شأنها الثبات، ومن هذه السنن: أنّ طريق التمكين للمؤمنين الصالحين المصلحين الحاملين هَمَّ الدِّين لا يكون مفروشًا بالورود، وإنما يكون طريقًا محفوفًا بالابتلاءات.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: المؤمن الذي لا يفهم سنن الله تعالى قد يقع في حالة من اليأس أو الفتور أو الانتكاس.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: من فوائد التطرّق لهذا الباب:

- العلم بالله وذلك من خلال معرفة بعض سننه.
- التزوّد للصبر والتهيّؤ للبلاء.
- عدم اليأس والفتور عند رؤية المصاعب والشدائد تحلّ بالمسلمين.
- الاستبشار بالخير بعد البلاء إذا كان مقرونًا بالصبر والتقوى.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ (١) وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية مذكورة في سورة يوسف، وقصة يوسف عليه السلام هي من أهم النماذج التي ذكرها الله تعالى للتمكين بعد الابتلاء.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذه الآية تأسيسية لسنة إلهية، وهي: أنّ الله تعالى يبتلي الصالحين العاملين لدينه ابتلاءات شديدة وطويلة، وعميقة، إلى أن يصلوا إلى مرحلة تُقارب اليأس.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: يُفهم من سياق هذه الآية أن هذا الأمر متكرر، ومتصل بسنن الله تعالى؛ لأن في الآية مخاطبة لهذه الأمة وتبيينًا بأن ما سيصيبها من البأساء والضراء والزلزلة قد أصاب الذين من قبلهم.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذه الآية نزلت في أوائل المرحلة المدنية بعد البلاء الشديد الذي مرّ

(١) استيئس الرسل: يئسوا من أقوامهم.

به المسلمون في مكّة، وفائدة نزول هذه الآية في أوّل المرحلة المدنية تثبيت المؤمنين عند ملاقاة الأحزاب، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۖ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: هذه الآية فيها إصلاح لخلل تربوي يقع به البعض، وهو أن سلوك طريق الإصلاح والعمل للدين خالٍ من الابتلاءات، وهذا وهم.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ: كَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ وَدُوَلٌ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ(١).

الْفَوَائِدُ:

هذه الكلمة التي علّق بها هرقل كلمة عظيمة، فهمها وفقهها من آثار النبوّة التي لديه؛ لأنها متعلقة بسنة إلهية.

الحديث الثاني: عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ ﷺ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٤)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذا الحديث بيان لشدّة ما لاقاه النبي ﷺ وأصحابه في مكّة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث بيان لأهمية وضرورة قصص الثابتين من الأنبياء والصالحين في توليد حالة الثبات في أزمنة متجددة، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: أن المجرمين والظالمين ومحاربي الإصلاح على نفس الطريقة التي هم عليها على مرّ التاريخ، فحين يرى الإنسان حالة شرسة في محاربة الدين لا ينبغي أن يظنّ أنّ هذا يحصل لأوّل مرة في التاريخ.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: ما في هذا الحديث من إخبار هو من دلائل النبوة، والعجيب أن ما فيه من إخبار إنما ذكره النبي ﷺ في زمن لا تلوح فيه بوادر النصر.

الحديث الثالث: عَنْ خَبَّابٍ رضي الله عنه قَالَ: «هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللهِ فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا»(١).

وقوله: «يَهْدِبُها» أي: يقطفها ويجنيها، ويقصد ما فتح الله عليهم من الدنيا بعد الفقر والذلة والفاقة.

الْفَوَائِدُ:

في هذا الحديث يبيّن خبابٌ رضي الله عنه تغيّر الحال الذي وقع لهم بعد شدة البلاء، فتغيّر الحال وأينعت الثمرة، وأكلوا منها، وعاشوا لذّتها ونعيمها.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧٦)، ومسلم (٩٤٠).

الحديث الرابع: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «**يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟**[١]»، قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: «**فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ**[٢] **تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَ**»، قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ[٣] طَيِّءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلَادَ؟، «**وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى**»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «**كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ**»، قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»، قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «**يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ**»[٤].

---

(١) الحيرة: بلد في العراق.

(٢) الظعينة: المرأة.

(٣) دعار: جمع داعر، وهو الشرير، ويُطلق على المفسد والسارق.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٩٥)، ومسلم (١٠١٦).

الْفَوَائِدُ:

هذا الحديث يبيّن أن القصة في زمن النبي ﷺ كانت متكاملة، فقد بدأت من الصفر، وترّقت بها الأحوال، وجاءت فيها كل العوامل التي من الممكن أن توقف الرسالة الخاتمة التي بعث الله بها نبيّه ﷺ، ويتقلّب المؤمن في هذه القصة حالًا بعد حال، وشدة بعد شدة، حتى تمّ هذا الأمر وأنزل اللهُ تعالى قولَه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ثم ما لبث النبي ﷺ أن توفي بعدها.



الباب الثامن والعشرون:

بَابٌ فِي الْمُبَشِّرَاتِ بِالتَّمْكِينِ وَصَلَاحِ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَعْدَ الشَّدَائِدِ وَالْفِتَنِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: بسبب المصائب والكوارث التي تمرّ بها الأمة الإسلامية منذ مدة من الزمن؛ أُصيب كثير من الناس باليأس والإحباط، وهذا الباب يأتي ليثبت أنه سيأتي للأمة الإسلامية جولة عظيمة فيما يُستقبل من زمانها.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من الأخطاء في التعامل مع هذا الباب: الجلوس دون عمل اتكاءً على هذه النصوص.

الآيات

الآية الأولى:

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ[1] فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية ليست خاصة بزمن النبي ﷺ، والموعودون فيها ليسوا هم الصحابة وحدهم، قال الشيخ السعدي ﷺ في تفسيره: «ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح؛ فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله».[2]

---

(١) ليستخلفنهم: ليجعلنهم خلفاء.

(٢) تفسير السعدي (١/ ٥٧٣).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذه الآية تتضمن بشرى مشروطة بالإيمان والعمل الصالح، وهذا يشمل شعب الإيمان، وأنواع العمل الصالح، سواء أكان بالاستقامة الذاتية، أو المتعدية من التواصي بالحق والصبر.

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: المتأمل في كتاب الله وسننه يجد أن الله تعالى ينصر دينَه وأولياءه؛ إذا قاموا بما يجب عليهم، وإذا وُجدت حالة الظلام الدامس فإننا نجد أن الله تعالى يُنير تلك الحال بمؤمنين يعملون الصالحات، ويقومون بأعباء هذا الدين، ويحملون تكاليفه، وينشرونه بين الناس.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: النبي ﷺ كانت تأتيه البشائر بالتمكين، ومع ذلك لم يكن قاعدًا متّكئًا، وإنما كان عاملًا باذلًا مضحّيًا هو وأصحابه؛ فتحقق لهم وعد الله تعالى.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا**»، قَالَ: «**ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي**[١] **- أَوْ: مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - مَنْ يَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا**»[٢].

الحديث الثاني: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ**[٣] **اسْمُهُ اسْمِي**»[٤].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الباب من الأبواب التي وقع فيها إنكار من بعض المتأخرين، ومن أسباب هذا الإنكار: كثرة التعامل الخاطئ مع هذا الباب، وهذه القضية ثابتة عن النبي ﷺ، والنصوص الواردة في السنة عن المهدي على قسمين:

* نصوص صريحة.
* نصوص عامّة حملها العلماء على هذا الباب.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذا الباب من المبشرات العظيمة في أنّ الله تعالى لن يترك هذه الأمة، ولن يترك سبحانه حالة التسلط الشديد على المسلمين.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: هذه الأحاديث التي فيها مبشّرات لن تحدث بشكل مفاجئ، وإنما

---

(١) عترتي: عترة الرجل: أقاربه.

(٢) أخرجه أحمد (١١٣١٣).

(٣) يواطئ: يوافق.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٢٣٠)، وقال: حديث حسن صحيح.

هي أمور ستحدث ضمن السنن الإلهية، وسنّة الله في البشر والخلق أن التغيير لا يحدث بشكل مفاجئ، ومَن كان يظنّ أن الإصلاح في هذا الزمان سيكون خارجًا عن السنن الإلهية فهو واهم.

الحديث الثالث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ يَحْثُو الْمَالَ حَثْيًا لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: حمل طائفة من العلماء الخليفة في هذا الحديث على المهدي.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: في الحديث بشارة بأنه سيكون للمسلمين خلفاء يقومون بأمرهم.

الحديث الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث من المبشّرات التي تبعث على الأمل والتفاؤل، ففي الحديث إخبار ضمني بأن اليهود ستكون لهم قوة وجيش، وهذا لم يكن على مرّ تاريخ المسلمين، ثم إنهم سيتقاتلون مع المسلمين، ثم سيكون مآل هذا الاقتتال: انتصار المسلمين.

(١) أخرجه مسلم (٢٩١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢).

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: ليس في الحديث إخبار بأن هذا الانتصار سيكون هو الجولة الأولى، وإنما إخبار عن مرحلة من المراحل، وهي قد تكون مسبوقة بتسلّط وشدّة.

الحديث الخامس: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا**»، يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ[١].

الْفَوَائِدُ:

هذا الحديث من جملة المبشّرات، ففيه أن كلمة الإسلام ستكون عالية وغالبة.

الحديث السادس: عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا[٢] فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً[٣] فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ**». ثُمَّ سَكَتَ[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٦٦٤٥).

(٢) ملكًا عاضًا: أي: يصيب الرعية فيه عسف وظلم، كأنهم يعضون فيه عضًا.

(٣) ملكًا جبرية: أي: فيه عتو وقهر.

(٤) أخرجه أحمدُ (١٨٤٠٦).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: حمل بعض العلماء هذا الحديث على خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وكثير من المتأخرين لا يحمل الحديث على خلافته؛ لأن المرحلة التي بين عمر بن عبد العزيز والخلفاء الراشدين لم يكن فيها ملك عاض ثم ملك جبري، وإنما هي مرحلة ملك عاض فقط.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذه النصوص في تنزيلها قابلة للاجتهاد، لكن بشرط أن يكون من أهل العلم.

الحديث السابع: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، قَالَ: «**فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ؛ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**[(١)]»[(٢)].

الحديث الثامن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]»[(٣)].

---

(١) تكرمة الله هذه الأمة: أي: لأجل تكرمة الله لهذه الأمة.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذان الحديثان من جملة الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في إثبات نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، والإخبار بنزوله ثابت ثبوتًا قطعيًا عن النبي ﷺ، وإنكار هذا الأمر هو إنكار لقطعي من الدين.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: سينزل عيسى عليه السلام على طائفة من هذه الأمة عاملة لدين الله تعالى.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: لا ينزل عيسى عليه السلام بشريعة جديدة، وإنما ينزل فيحكم بشريعة محمد ﷺ.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: أعظم الشأن في نزول عيسى عليه السلام سيكون مع أهل الكتاب يهوديّهم ونصرانيّهم، فأما اليهود فإنهم سيكونون مع الدجال فيُقتلون معه، وأما النصارى فإنهم سيؤمنون به.

الحديث التاسع: عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ**[١] **وَلَا وَبَرٍ**[٢] **إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**». وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ[٣].

الْفَوَائِدُ:

هذا الحديث من المبشرات النبوية التي تحقق كثير مما فيه في التاريخ والواقع، فأما التاريخ فقد وصلت فيه كتائب الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها، وفي الواقع بانتشار الدعوة إلى الله، ودخول كثير من الناس بهذا الدين من مختلف أقطار الأرض في واقع يصعب أن يكون سببًا لدخول الناس في الإسلام.



(١) بيت مدر: هو البيت من الطين.

(٢) الوبر: الشعر.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٩٥٧).

الباب التاسع والعشرون:

بَابٌ فِي أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينُ الْوَحِيدُ الْمَقْبُولُ عِنْدَ اللهِ، وَ أَنَّهُ شَرْطُ النَّجَاةِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: كتاب «المنهاج من ميراث النبوة» يعتني بمركزيات الشريعة، وفي نفس الوقت يضع المؤلف عينًا على الواقع، فما كان من هذه المركزيات فيه إشكال في الواقع فإنه يوضع في هذا الكتاب.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذا الباب من الكتاب من موجبات اختياره: الخلل الموجود في الواقع في محاولة تغييب أن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله، وأنه شرط النجاة.

الآيات

الآية الأولى والثانية والثالثة:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: خلَقَ اللهُ السماوات والأرض لغاية عظيمة، وهي: الاستسلام لله تعالى، وتوحيده والانقياد له، وهذه الغاية قد جعل الله لها نورًا وسبيلًا ومرجعًا يوصل إليها، وهو: ما أوحى الله لأنبيائه عليهم السلام.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: يُطلق «الإسلام» على معنيين:

* **معنىً عام**، وهو: دين الأنبياء كلّهم، فيشمل جميع ما نزل على الأنبياء؛ لأن الأنبياء جميعًا اشتركوا في الدعوة إلى الاستسلام لله والانقياد له.
* **معنىً خاص**، وهو: الدين الذي بُعث به مُحمدٌ ﷺ، ومن شرف هذا الدين أنه سُمّي بـ«الإسلام».

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: لمّا بُعث النبيّ ﷺ بهذا الدين كانت رسالته واضحة، ولم يقل رسول الله ﷺ يومًا: إني بُعثت برسالة غير ملزمة، وإنما كانت رسالته واضحة بأنها الحق الذي يجب التمسّك به، وأنها السبيل الوحيد للنجاة، وسلوك أيّ سبيل غير سبيله إنما هو سلوك سبيل إلى جهنم، وكان هذا التوضيح رحمة بالأمم حتى لا يُخدعوا.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: في مرحلتنا اليوم هناك من يجدد دعوة مندثرة في التاريخ، وهي الدعوة القائلة: إن الإسلام ليس هو الشرط الوحيد للنجاة من عذاب الله، وإنما بإمكان البشرية أن تتمسك بأديان أخرى ثم تكون من الناجين عند الله تعالى، ويُوضع لمثل هذا الكلام شعار من الشعارات البراقة، وهو شعار «الإبراهيمية» زاعمين أن هناك مجموعة من الأديان كلّها تنتمي لإبراهيم عليه السلام، وأن أبناء هذه الأديان كلهم أبناء رسالة واحدة، ولا داعي - بزعمهم - للتفريق بين هذه الأديان.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: تستند الدعوة المسماة بـ«الإبراهيمية» إلى نوعين من الركائز:

الأول: ركائز دينية مخصوصة بنصوص معيّنة، ومنها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، فهذه الآية - بزعمهم - ليس فيها اشتراط الدخول في الإسلام للنجاة.

والجواب عن هذه الشبهة من وجهين:

أحدهما: رد المتشابه إلى المحكم، فينظر في عامة النصوص الواردة في الباب، ثم تردّ هذه الآية التي تحتمل أكثر من معنىً إلى الآيات التي لا تحتمل إلّا معنىً واحدًا، وعند النظر في بقية النصوص الواردة في الباب سنجد أنها واضحة غاية الوضوح في أنّ الإيمان بالنبي ﷺ واتّباعَه شرط للنجاة، وأن الإنسان وإن كان على دين آخر، وإن كان موحدًا وعمل صالحًا لكنه لم يؤمن بالنبي ﷺ ؛ فإن هذا لا يكفيه للنجاة.

ومن النصوص المحكمة في الباب:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والآخر: أن هذه الآية إنما هي متعلّقة بما قبل بعثة النبيّ ﷺ، وذكر الشيخ السعدي الموجب لهذه الآية فقال: «فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد ﷺ وأن هذا مضمون أحوالهم، وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم، لأنه تنزيل مَنْ يعلم الأشياء قبل وجودها، ومَنْ رحمته وسعت كل شيء، وذلك - والله أعلم - أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه»[(١)].

الثاني: ركائز دينية عامّة؛ كالأخلاق.

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٥٤).

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: من حقّ المسلمين وغيرهم علينا: توضيح الحق في قضية «الإبراهيمية»؛ لأنّها تؤدي إلى آثار سلبية متعددة، منها:

* الفتور في الدعوة إلى الإسلام الدين الحق؛ لأنه لا فائدة من الدعوة إذا كان الكل ناجيًا.
* خيانة غير المسلمين، وذلك بلتبيس الحق بالباطل عليهم، وتثبيتهم في الضلال الذي هم عليه.

الْفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: الدعوة الإبراهيمية مرشّحة للانتشار؛ لأمور، منها:

* ما تستند عليه من القوة المادية.
* أنَّ النَّفَسَ العام متأثر بـ«الإنسانوية».

الْفَائِدَةُ الثَّامِنَةُ: الآية الواردة في أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا بيّنة محكمة في إبطال تذويب الفروق بين الأديان.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قُبَّةٍ فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ»[1].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: في هذا الحديث تأكيد على أن الجنة لا يدخلها إلّا نفس مسلمة، وهذا لا ينبغي أن ينصرف في أذهاننا إلى غير المسلمين فقط، وإنما ينصرف إلى المسلمين، وذلك بالحرص على أن يحافظ كلّ امرئ منهم على إسلامه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من أهم ما يدخل في الإسلام: الإخلاص لله تعالى، بأن يعمل العبد أعماله ابتغاء وجه الله تعالى.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: هذا الحديث يبيّن خيرية هذه الأمة وفضلها، وما في الحديث باب من أبواب الرجاء.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١).

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث فيه تأكيد على أنّ من سمع بالنبي ﷺ، ولم يؤمن به؛ فإنّه من أهل النار.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: هذا الحديث يحرّك المؤمن ليكون داعيًا إلى الله تعالى، رحيمًا بالناس منقذًا لهم من عذاب الله.

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

الباب الثلاثون:

بَابُ سَيْرِ الْمُؤْمِنِ إِلَى اللهِ تَعَالَى بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: للمؤمن جناحان في سيره إلى الله أحدهما: «الخوف»، والآخر: «الرجاء»، ومتى فقد المؤمن أحد الجناحين فقد وقع اختلال في طريقه، فالسير بالرجاء دون الخوف يجعل العبد متهاونًا بالذنوب والمعاصي؛ لأن النفس لا تثبت على الطريق بمحض الرجاء، وإنما تحتاج إلى خوف، ومن سار بالخوف دون الرجاء سيفقد نعيمَ الرجاء، والشوق إلى الله، والأمل بالله، ومحبته؛ لأن الرجاء يغذّي المحبّة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الخوف المطلوب شامل لأهل الإيمان والاستقامة كما أنه شامل لأهل الذنوب والمعاصي، وقد أخبر الله تعالى عن أهل الجنة أنهم يقولون بعد دخولها: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦].

الآيات

قال تعالى:

﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

الْفَوَائِدُ:

ذكر اللهُ تعالى في هذا الموضع من كتابه موجبًا للرجاء، وآخر للخوف.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث فيه رجاء من جهة، وهي عدم اليأس من العاصي، فقد يكتب اللهُ له الهداية، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وفي الحديث خوف من جهة أخرى، فالإنسان لا يأمن الحال التي هو عليها من السير في طريق الطاعة والعلم، فمجرد السير في الطريق لا يضمن للإنسان أن يموت عليه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: كان الصالحون يخافون لحظة الختام، ويقلقون تجاهها، فكانوا لا يطمئنون إلى أن يموتوا على ما كانوا عليه من صلاح الحال.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٥).

الحديث الثالث: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ**(١)، **وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**»(٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: دخول الجنة والنار قد يكون لِمَا لا يلقي الإنسان له بالًا، وهذا يفتح من جهة باب الرجاء، ويجعل المؤمن لا يستخفّ بشيء من الأعمال الصالحة فقد تكون سببًا في دخوله الجنّة، وهذا الحديث يفتح من جهة أخرى باب الخوف، ويجعل المؤمن لا يستخفّ بشيء مما حرّمه الله ولو كان صغيرًا.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: عذاب الله لا طاقة لأحد به، وهذا حادٍ إلى الخوف، وكذلك فإن رحمة الله واسعة، وهذا حادٍ إلى الرجاء، والذي على الإنسان أن يتقي اللهَ ربَّه ما استطاع.

الحديث الرابع: عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»، قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ(٣)(٤).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: رأى النبي ﷺ ما لم نره من النعيم والشقاء، والرحمة والعذاب،

---

(١) شراك نعله: السَّيْرُ الذي يَدْخُلُ فيهِ إصبعُ الرِّجْلِ، أو الذي يكون على ظهر القدَم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٨).

(٣) لهم خنين: أي: بكاء له صوت فيه غنة.

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٢١)، ومسلم (٤٢٦).

وبعد أن علم ما علم كانت النتيجة أنه ينبغي على الإنسان أن يكون جادًّا في حياته وتطلّبه رضوان الله تعالى، ومن علامات هذه الجدية: الخوف والخشية، وقلّة الضحك.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: بمقدار علم الإنسان بالله وما عنده يتلبّس بحالة الخشية والخوف من الله تعالى.

الحديث الخامس: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا**[1]، **وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**»[2].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث من أعظم الأحاديث التي توسّع الأمل عند الإنسان، وتزيد رجاءه وطمعه في رحمة الله وثوابه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من أهم ما يطمّع المؤمن بالعمل الصالح: القرب من الله تعالى، وأن يكون ممن رضي الله عنهم.

الحديث السادس: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**»، وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ[3].

---

(١) باعًا: أي: طول ذراعي الإنسان وما بينهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٢).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: من أعظم ما ينبغي الحرص عليه: تحقيق التوحيد والبعد عن الشرك، فإن أرجى ما يلقى به المؤمنُ ربّه: أن يلقاه بقلب موحّد.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من أهم ما يدخل في «التوحيد»: أعمال القلوب، من الإخلاص، والمحبة، والإنابة، والتوكّل، والاعتصام، وكلّما حقق الإنسان هذه الأعمال القلبية يكون قد قطع الأواصر التي قد تكون بينه وبين الشرك؛ لأن الإنسان يقع بالشرك كلّما كان تعلّقه بالله ضعيفًا.

الحديث السابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الأحاديث من أحاديث الرجاء العظيمة التي تجعل الإنسان لا يقنط من الذنب، ولا يجعل وقوع العبد في الذنب سببًا لليأس والقنوط.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الله سبحانه وتعالى يحب المنكسرين إليه المنيبين، وهذه الحال غالبًا لا تأتي إلّا بعد الذنوب، وحالة الانكسار والذل والندم لله بعد الذنب من أعظم صور العبودية.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

الحديث الثامن: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ** ﷻ»[1].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث من الأحاديث التي استند العلماء عليها لتغليب الرجاء في بعض الأحوال، ويرون أنّ من الفقه في الدين: تذكير من اقترب من الوفاة بالرجاء أكثر من الخوف.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: إحسان الظن بالله يكون بحسن الظنّ به أن يقبل توبته، وأنه يَفِدُ إلى رب رحيم.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: هذا الحديث لا ينحصر في لحظات الموت، وإنما يؤخذ منه أن يكون الإنسان محسنًا الظنّ بالله.



(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

الباب الحادي والثلاثون:

بَابٌ فِي الشَّوْقِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْحَنِينِ إِلَيْهِ

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الشوق إلى الله ورسوله ﷺ من أهم القضايا التي يحتاجها المؤمن في سيره إلى الله تعالى؛ لأن هذا الدين ليس دين معرفة فحسب، وإنما هو دين أساسه المحبة، وهي محبة من شأنها أنّها محبة دافعة للعمل والتضحية وإيثار ما يحبّه المحبوب على غيره.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: الحديث عن الشوق والحنين إلى رسول الله ﷺ ليس بِدْعَاً من القول، وقد وقع هذا في حياته ﷺ من جماد من الجمادات.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**»(١).

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الحديث يزيد المحب والمشتاق شوقًا لرسول الله ﷺ؛ لأنه يتحدّث عنه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: اختلفت الأمة الإسلامية على مر القرون في كثير من الأمور، لكنك لا تجد إنسانًا مؤمنًا إلا ويحب النبي ﷺ، بل وإن درجة المحبة التي تحصل عند المؤمنين هي درجة لا تشبهها درجة أخرى في محبة البشر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٨٧)، ومسلم (٢٨٣٢).

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: من البواعث على محبة النبي ﷺ:

* الخير الحاصل لهذه الأمة بسببه.
* ما كان عليه في ذاته من كمال الخُلُق.

الحديث الثاني: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ - أَوْ نَخْلَةٍ -، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - أَوْ رَجُلٌ -: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: «**إِنْ شِئْتُمْ**»، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ، قَالَ: «**كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا**»[1].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: الله تعالى جعل للجمادات خصائص هو يعلمها، وقد يُطلع بعض عباده على شيء من ذلك، ومنها ما حصل في حالة الجذع الذي حنّ واشتاق للنبي ﷺ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: أشدّ الشوق للنبي ﷺ يكون ممّن عاشوا معه ثم فقدوه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٨٤).

الحديث الثالث: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ هِشَامٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**»[1].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: محبة المؤمنين للنبي ﷺ هي محبة واجبة، وهذا الحديث يبيّن منزلة وأهمية أن يكون حب المؤمن للنبي ﷺ مقدّمًا على كلّ المحبوبات البشرية، وأوّل ذلك محبته لنفسه، وأهله، وماله، وولده، ومن حقق هذا القدر من المحبة فلا تسأل عن استقامة أحواله، ومقدار اتّباعه للنبي ﷺ؛ لأن هذا موجب المحبة.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من أعظم ما ترك اللهُ لنبيّه ﷺ من الأثر الحسن في هذه الأمة: ما كتبه في قلوب المؤمنين من المحبة له، محبة عجيبة لا تشبهها محبة أخرى من المحابّ التي يصرفها البشر للبشر.



(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

الباب الثاني والثلاثون:

بَابُ الشَّوْقِ إِلَى اللهِ ﷻ

قال الله تعالى:

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ [العنكبوت: ٥].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذه الآية ذكر بعض العلماء أن فيها ما يدلّ على الشوق إلى الله تعالى.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «قيل: هذه تعزية للمشتاقين وتسلية لهم»[(١)]، وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله في تفسيره: «يعني: يا أيها المحب لربه المشتاق لقربه ولقائه المسارع في مرضاته؛ أبشر بقرب لقاء الحبيب فإنه آت، وكلُّ آتٍ إنما هو قريب، فتزود للقائه وسِرْ نحوه مستصحباً الرجاءَ مؤملاً الوصول إليه»[(٢)].

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»[(٣)].

الْفَوَائِدُ:

هذا الحديث من أعظم ما يُعزّي أهل الميت إذا كان من أهل الصلاح والاستقامة.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٢).

(٢) تفسير السعدي: (١/ ٦٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٨)، ومسلم (٢٦٨٦).

الحديث الثاني: عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلَاةً فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ - أَوْ: أَوْجَزْتَ - الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ - هُوَ أَبِي غَيْرَ أَنَّهُ كَنَى عَنْ نَفْسِهِ - فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى**[١]، **وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ**[٢] **لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**»[٣].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: هذا الدعاء من الخير والفلاح للمؤمن أن يحفظه ويكثر من الدعاء به، ومن ميزات هذا الدعاء: أنّ فيه أدعية لاستصلاح الباطن ولزوم الاستقامة في مختلف الأحوال.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: من أعظم صور البركة النبوية: بركة النبي ﷺ في أدعيته، فمن يلزم أدعيته فقد لزم شيئًا مباركًا.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: في الحديث دلالة على أنّ الشوق إلى الله من المطالب الإيمانية.

---

(١) القصد في الفقر والغنى: أي: الاقتصاد والتوسط في الفقر والغنى، أو عدم السخط في الفقر، والطغيان في الغنى.

(٢) قرة عين: أي: سرور وفرح.

(٣) أخرجه النَّسائي (١٣٠٥).

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: الشوق إلى الله لا يكون إلا بعد امتلاء القلب بالحبّ له، وهذا الحب له أسباب، منها:

- العلم بالله تعالى، ومظانّه في الكتاب العزيز، وفي تعامل الأنبياء التعبدي مع الله تعالى.
- النظر إلى النِّعم الخاصّة والعامّة.
- إدراك آثار المعيّة الخاصّة للعبد.

الحديث الثالث: عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ** - قَالَ: - **يَقُولُ اللهُ ﷻ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟**»، قَالَ: «**فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ**»[(١)].

الْفَوَائِدُ:

الْفَائِدَةُ الْأُولَى: مطلب المؤمن في الآخرة لا ينحصر في التمتّع الحسّي، وإنما من أعلى المطالب: رؤية الله ﷻ ولقاؤه.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: لا ينبغي أن يضع الإنسان لنفسه مطلوبًا أقلّ من رؤية الله ﷻ ولقائه.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم: (١٨١).

خاتمة

«ما يراهن عليه أعداء الأمة: من أن هذه الأمة ماتت، وأن شبابها قد انتهوا، وأنهم قد غرقوا في اللذات والشهوات والإباحيات، وأنهم لم يعد لهم هم إلا شبكات التواصل وما إلى ذلك؛ هذا الوهم سيُبَدّد قطعاً، وسيثبُت في قابل الأيام أن هذه الأمة ستعود إلى دينها، وإلى عزتها، وإلى كرامتها، ووالله الذي لا إله إلا هو أنه لا شك عندي ولا ريب أن المستقبل للإسلام».

شيخنا: أحمد السيِّد



المفكرة